

روايات مصرية للجيب
ماوراء الطبيعة
أسطورة
الغرباء
18
مكتبة
TELEGRAM NETWORK
2020


TELEGRAM
NETWORK
TELEGRAM
NETWORK

١٨

روايات مصرية للجيب

•

ما وراء الطبيعة

أسطورة الغرباء

روايات مصرية للجيب

●

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

●

مصنف مصري مائة في المائة
لا تشوبه شبهة الترجمة أو
الاقتباس

●

بريشة
الأستاذ/إسماعيل دياب

●

إشراف
الأستاذ/ حمدي مصطفى

●

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة - المطابع ١٠،٨ شارع المنطقة الصناعية بالعباسية - منافذ البيع ١٦،١٠ شارع كامل صدقي الفجالة- ٤ شارع الإسحاقي بمنشية البكري روكسي مصر الجديدة - القاهرة ت ٢٨٣٥٥٥٤- ٥٩٠٨٤٥٥- ٢٥٨٦١٩٧ فاكس - 202/2596650 ج.م.ع.
4 شارع بدوي / محرم بك - الإسكندرية

مقدمة

من جديد هو ذا د. (رفعت إسماعيل) يتحدث إليكم...

أرى - وهذا يسرني - أن عددكم قد ازداد كثيرًا وإنني لأجرؤ على مقارنته بالعدد الذي جلس حولي أول مرة كي يصغي إلي أسطورة مصاص الدماء...

عندئذ أفهم معنى الاهتمام ومغزى الحب...

هل جاء الجميع؟.. فلننتظر هنيهة.. لربما كان هناك من يلهث في الخارج تحت الأمطار باحثًا عن طريق مجلسنا هذا.. ولربما كان هناك من يصعد الآن درجات

السلم.. ولربما هناك من تأخرت عقارب ساعته عن السابعة مساء.. موعدنا...

ما أقسى حياة لا ينتظر فيها السابقون من تأخروا عنهم..!

إن الحفاظ على المواعيد أمر لا بأس به، لكن التسامح فضيلة أكثر قيمة، ولن يفهم هذا سوى شيخ فان مثلي تعلم أن يسمع الأعذار أولًا قبل أن يعاقب أو يغضب...

هوذا آخركم.. تعال إلى المجلس ولا ترتبك.. ساعدوه على الجلوس.. قدموا له بعض الشاي.. هل هدأت نوعًا؟.. إذن اقترب مني وأصغ لحكاية الليلة مع من سبقوك.....

كانت آخر قصة حكيتها لكم هي قصة النبات.. لا خطأ هنالك.. فقصة (النافاراي)

كانت تكملة لقصة (الكاهن الأخير).. وقصة الحسناء في المقبرة حدثت في أثناء مروري بأسطورة (النافاراي).. إذن التتابع الزمني الصائب يقول إن آخر قصة حكيتها كانت (النبات) تليها قصة اليوم.. القصة التي حدثت عام ١٩٦٨ في (سويسرا) لي أنا الكهل الذي بلغ من العمر أربعة وأربعين عامًا وقتها......

والآن ماذا أقول لكم؟

نعم.. كما هي العادة..

أضيئوا الأنوار وأغلقوا الأبواب وأصغوا لما سأقول...

- ١ -

(في هذه المرة لن أتدخل قليلًا ولا كثيرًا في الأحداث.. سأتركها لتيارها الطبيعي كريشة عائمة في مجرى نهر، وسأترك لكم هذا الحشد من قصاصات الصحف والصور الفوتوغرافية وخلافه كي يجرفكم معه وكي تستنتجوا منه ما تستنتجون...

فقط تذكروا أن هذه الأحداث وقعت عام ١٩٦٨....)

* * *

<u>مجلة أخبار الجامعة:</u>

أ. د. (رفعت إسماعيل) يسافر إلى (سويسرا)

بقلم: (سلوى محمود) - السنة الرابعة.

قابلته قبل سفره بيومين - الأستاذ (رفعت إسماعيل) - وكان منهمكًا في إعداد أوراقه، غارقًا في التدخين كعادته، وبصعوبة نجحت في إقناعه بأن يتحدث إلى مجلة (أخبار الجامعة) وإلى طلبته الذين سيقرءون هذه السطور.

وفي مكتبه طلب لي مشروبًا باردًا ولنفسه قدحًا من القهوة، وأشعل سيجارة ثم جلس يجيب عن أسئلتي التي حاولت بها أن أكشف لكم - أخي الطالب وأختي الطالبة - بعضًا من عالم هذا الأستاذ الذي احترمناه جميعًا: د. (رفعت إسماعيل).

الأستاذ الدكتور (رفعت إسماعيل).. نريد معرفة ما في بطاقتك الشخصية..
سؤال غريب وإجابة - حتمًا - أغرب!
(كانت روحه المرحة تفيض على المكان، وتذكرت هنا ما يقال عن حبه الشديد للدعابة فضحكت، ثم واصلت الأسئلة):
فيم تفكر في هذه اللحظة؟
هذا لا يعنيك في شيء..!
ما هي هواياتك؟
التدخين!
يقولون إن لك صولات وجولات في عالم ما وراء الطبيعة وإنك واجهت كل أنواع الكوابيس والمسوخ.. فهل هذا صحيح؟ وما هو سبب هذا الولع؟
ربما أنهم لم يثيروا رعبي بما يكفي في طفولتي فنشأت ظامئًا إلى الرعب.

ولماذا لم يتزوج د. (رفعت إسماعيل) بعد؟ أستطيع أن أقول إن هذا ليس شأنك، لكنني لن أقولها لأنني لا أريد إلقاء (كرسي في الكلوب)، وعلى كل حال يمكن سؤال النساء عن هذا بدلًا مني. ربما كنت خير من ينطبق عليه بيت الشعر..

فأما الحسان فيأبينني   وأما القباح فآبى أنا!

إذن هل يمكن أن يقع د. (رفعت) في الحب؟

لا يوجد ما يمنع فأنا لست صنم (نسرا) أو تمثال (خفرع).. وإن كنت أدعو الله ألا يحدث هذا.. فالحب في الرابعة عشرة ضرورة.. وفي الرابعة والعشرين حياة.. وفي الرابعة والثلاثين حماقة.. وفي الرابعة والأربعين مأساة!

إذن أنت تكتب الشعر؟
إذا كنت تعتبرين ما قلت شعرًا فأنا لا أنكره...
ما هو رأيك في الصداقة؟
أتمنى أن أعرف سر اهتمام الفتيات بهذه التعريفات المقتضبة السخيفة اللواتي يكتبنها في آخر كراسات المحاضرات.. على كل سأقول لك أي شيء يخطر ببالي.. الصداقة كفاح!
كيف تكون الصداقة كفاحًا؟
لا أدري.. قلت لك أول ما خطر لي.. أليس هذا كافيًا؟
ما هو رأيك في المرأة؟
كائن طويل الشعر ويستطيع انتعال الأحذية ذوات الكعب العالي دون أن تنكسر رقبته..

ما هو رأيك في الجمال؟
الجمال أزرق!
ما معنى أن الجمال أزرق؟
لا أدري..
وما رأيك في الذكرى؟
الذكرى هي النار التي ستدفئ برد شيخوختنا..
لونك المفضل؟
الأسود!
مطربك المفضل؟
أنا.. في الحمام!
لماذا تسافر إلى (سويسرا)؟
يا له من سؤال!.. ليس للتزلج على كل حال..! إنني ذاهب إلى (جنيف) مقر منظمة الصحة العالمية لتقديم تقرير عن (الأنيميا) لدى طلاب المدارس في

(مصر)، باعتبار (مصر) نموذجًا جيدًا للدول النامية، وبالطبع سيكون هناك آخرون من (الهند) و (إفريقيا الاستوائية) وغيرهما.....

هل هي زيارتك الأولى لهناك؟

إن المرء لا يزور (سويسرا) مرتين ما لم يكن مليونيرًا يطمئن على رصيده..

نتمنى لك رحلة طيبة وعودة سالمة.

شكرًا جزيلًا..

وهكذا - أخي الطالب وأختي الطالبة - أنهينا هذا الحوار الشيق مع أ. د. (رفعت إسماعيل) أستاذ أمراض الدم بالكلية، وقد حاولنا أن نتعمق في شخصيته ونتفهم آراءه في الحياة ونزيل بعض علامات الاستفهام من حوله..

وفي عناية الله نترككم ونعدكم بلقاءات أكثر إمتاعًا مع عدد من أساتذة الكلية الأجلاء.

(سلوى محمود)

* * *

الصفحة الأولى من جريدة (.....):

(معجزة تنقذ طائرة مصرية)

برن - وكالات الأنباء:

نجا ركاب وطاقم إحدى الطائرات المصرية من حادث غير متوقع كان سيفضي إلى كارثة. حيث تعطلت محركات الطائرة لسبب غامض وهي موشكة على الهبوط. ثم تمكن قائد الطائرة من استعادة السيطرة والهبوط بسلام في (سويسرا) وجهة الوصول. وقالت السلطات في المطار إن الحادث نجم عن

خلل في المحركات وأن نسبة حدوثه نادرة جدًا.

* * *

صفحات من نشرة سياحية مطبوعة بالإنجليزية:

(سويسرا: جنة الأرض)

لقد حبا الله (سويسرا) بالسلام والثراء والجمال، حتى غدت كواحة للأمان والهدوء وسط (أوروبا) المحتدمة بالصراعات.

ويرجع هذا إلى سياسة الحياد التي التزمت بها (سويسرا) بدقة، مما أدى إلى استقرار أوضاعها، وبعدها عن الحروب. وقد شجع هذا المستثمرين وأصحاب الثروات على

إيداع أموالهم في بنوك (سويسرا) ذات الشهرة العالمية.

وتتكون (سويسرا) من اتحاد لاثنتين وعشرين مقاطعة - أو ما يسمونها (كانتون) - ويتوسط موقعها أربع دول هي (ألمانيا) و (النمسا) و (فرنسا) و (إيطاليا)، لهذا تشكل اللغة الألمانية ٧٢ ٪ من الألسنة، وتشكل الفرنسية ٢٠٪، والايطالية ٦٪، بينما تنفرد مقاطعة (جريسون) بنسبة ١٪ ممن يستعملون اللغة الرومانية.

وتمر بـ (سويسرا) سلسلتا جبال هما جبال (الألب) وجبال (جورا). وبين السلسلتين يوجد سهل فسيح. وتشتهر البلاد بمناطق الانزلاق التي يأتيها السياح من كل أرجاء العالم كي يستمتعوا بالتزلج على الجليد في (سان موريتز) و(دافوس) و (زرمات).

* * *

قصاصة من جريدة (نويشاتل) باللغة الألمانية:

انتهت اليوم آخر جلسات مؤتمر (الأنيميا) الثلاث، والذي قامت بتنظيمه منظمة الصحة العالمية في (جنيف). وقد ضم المؤتمر نخبة من أساتذة أمراض الدم في العالم، وإن كانت هناك وجوه غير معروفة - لنا على الأقل - من العالم الثالث. نذكر من هؤلاء البروفسير (سارورار) من (بومباي) و(إيديامي) من (نيجيريا) و(خوان رودريجز) من (كولومبيا) و(إسماعيل رفعت) من (مصر).

وقد التقينا بالأخير بعد أن أنهى المحاضرة القصيرة التي ألقاها عن مشكلة (الأنيميا) في

(مصر) وسألناه:

- إذا ما تناسينا المصطلحات الطبية.. ما هو سبب مشكلة (أنيميا) أطفال المدارس في مصر؟

- أنا لا أرى أنها تشكل ظاهرة مروعة، إلا أن دودتي (البلهارسيا) و(الإنكلستوما) تلعبان الدور الأساسي عندنا..

- إذن ليس الفقر هو المشكلة؟

- الفقر مشكلة في حد ذاته لكنه ليس المتهم الوحيد.. هناك الديدان والخبز الأسمر وعادة احتساء الشاي بعد تناول الطعام.. بالإضافة إلى افتقار المواطن المصري إلى ثقافة غذائية سليمة عمومًا..

- وما هي خططك بعد انتهاء المؤتمر؟

- تلقيت دعوة إلى (بازل) من أستاذكم العظيم (فردريك شوندر) لأرى الجديد في

صناعة الأدوية هناك، خاصة وقد أخبرني أن (بازل) هي مركز الصناعات الكيميائية عندكم، إن بضعة أيام هناك لن تؤذي أحدًا..

تمنينا للدكتور (إسماعيل) زيارة طيبة إلى (بازل)، ثم مضينا عبر أروقة المكان باحثين عن البروفسير (إيديامي) الذي حدثنا عن..........

* * *

صفحة من نشرة سياحية بالألمانية:

بازل: (بازل) هي المدينة السويسرية التي شقها نهر (الراين) إلى نصفين..

إن القادمين إلى (بازل) لابد أن ينبهروا بالتاريخ العريق لهذه المدينة، التاريخ الذي

يرجع إلى ألفي عام منذ بناها الرومان في تلك الرقعة المتاخمة لـ (فرنسا) و(ألمانيا). وتشتهر المدينة - فضلًا عن صناعة الأدوية - بسوق (موسترميس) الذي يعرفه السياح جيدًا.

وفي وقت من الأوقات كانت (بازل) مركز الثورة على حكم الأساقفة، وبها طبعت تعليمات الراهب الثائر (مارتن لوثر) الذي بذر بذرة المذهب (البروتستانتي) في (أوروبا).

إن زائري (بازل) يعرفون جيدًا جمال المدينة، ويعرفون أنها أهم موانئ (سويسرا).

* * *

<u>قصاصة من جريدة (....) القاهرية:</u>

(النيزك لن يصطدم بالأرض)

وكالات الأنباء: أكد العلماء في وكالة (ناسا) الفضائية والعاملون بمشروع (أبوللو) أن النيزك شوهد يجتاز مجموعة الكويكبات يوم ١٤/٢ لن يصطدم بالأرض. ويؤكد د. (برت لامبرت) مدير المشروع أن مدار النيزك قد انحرف قليلًا عما هو متوقع وبالتالي فمن المؤكد أن يضيع في الفضاء. ومن المعروف أن توقعات العلماء كانت تشير إلى قرب سقوطه في مكان ما من (أوروبا). وبرغم أن حجم النيزك صغير نسبيًا إلا أن الأضرار التي كان ممكنًا أن يسببها سقوطه فوق إحدى المدن كان يثير قلقًا عامًا.

* * *



ويؤكد د. (برت لامبرت) مدير المشروع أن مدار النيزك قد انحرف قليلاً عما هو متوقع ..

قصاصة من جريدة (..) القاهرية:

بتاريخ (٢٤/٢/٦٨):

اجتماعيات:

تم أمس زفاف الآنسة (سميرة إبراهيم) إلى الدكتور (محمود عزمي).

في حفل عائلي بهيج تم عقد قران الآنسة (هويدا عبد المنعم) بالتربية والتعليم على الأستاذ (سيد الشمندوري) الموجه بالتربية والتعليم. ألف مبروك.

تمت خطبة الآنسة (سحر الشربيني) بالجامعة الأمريكية إلى رجل الأعمال (شريف إبراهيم).

تمت...........

* * *

صفحة (العلوم) بمجلة (....):

ماذا تعرف عن النيازك؟

برغم تأكيد العلماء أن النيزك الذى دنا من الأرض في ١٤/٢ لن يصطدم بها، إلا أن مسار النيزك اقترب من (أوروبا) بشكل غير مسبوق ثم اختفى تمامًا فلا يعرف أحد مصيره حتى هذه اللحظة**!**.

ويذكرنا هذا بحادث سابق شهير هو حادث نيزك (تونجوس) عام ١٩٠٨، فقد هوى هذا النيزك فوق غابات (التايجا) في (سيبيريا) ليملأ المكان نورًا.. وتكونت سحابة دخان هائلة.. وحدثت انفجارات مروعة وارتجت الأبنية وتهشم زجاج النوافذ ثم لا شيء[1].... وحتى البعثات السوفيتية التي ذهبت لمكان السقوط لم تجد شيئًا.. ولا حفرة واحدة.. ولا شظية.. فيما عدا أن الأشجار كانت متساقطة

عبر دائرة قطرها مائة كيلو متر واتجاه جذوعها يشير إلى مركز الانفجار الذي أسقطها، الغريب هنا أن الأشجار كانت سالمة تمامًا في هذا المركز!.. فأين ذهب النيزك؟

وافترض الأمريكيان (جاكسون) و(ريان) أن هذا التأثير لا ينجم إلا من اصطدام الأرض بثقب أسود. على حين افترض السوفيتي (ستانيوكوفتش) أن ما اصطدم بالأرض هو نواة جليدية لمذنب صغير.. وأن هذه النواة قد ذابت لدى احتكاكها بجو الأرض وتبخرت محدثة انفجارًا.

وتفند النظرية الأولى حقيقة أن اصطدام الأرض بثقب أسود لن يمر بهذه البساطة.. وتفند النظرية الثانية حقيقة أن أحدًا لم ير مذنبات فوق (سيبيريا) عام ١٩٠٨.

وبالطبع ظهرت بعض الخزعبلات على غرار أن ما حدث كان انفجارًا نوويًا في محركات سفينة فضاء.. أو أن النيزك كان من مادة مضادة، لكننا واثقون بأن تفسير ما حدث موجود - أو لم تتم معرفته بعد - في قواعد علم الفلك.

إن تكرار حادث (تونجوسكا) بعد ستين عامًا ليدعونا إلى إعادة تأمل هذه الظاهرة المحيرة.

❋ ❋ ❋

- ٢ -

(صورة وسط أشجار الصنوبر رائعة الجمال بها مجموعة من الأشخاص يبتسمون للكاميرا ببلاهة. أحدهم أشيب الشعر يدخن غليونًا، وأحدهم أصلع تمامًا ناحل الجسد يدخن لفافة تبغ وينظر في عصبية إلى قداحته التي تأبى أن تشتعل..)

(توجد أرقام صغيرة فوق رأس كل واحد من الواقفين تمت كتابتها بقلم جاف، وعلى ظهر الصورة تمت كتابة فهرس بأسماء القوم حسب الرقم).

١ - بروفسير (فردريك شوندر) مضيفي...

٢ - أنا.. (لم يخطرني المصور اللعين بأنه يوشك على ضغط الزناد وكنت منهمكًا في

إشعال القداحة).

٣ - د. (هانز رايتمان) لا أدرى عمله بالضبط لكنه دائمًا هناك.

٤ - (مارتا) الحسناء سكرتيرة (شوندر)..

٥ -......

٦ -......

(بازل) ٢٥/٢/١٩٦٨

* * *

قصاصة من جريدة سويسرية:

يصل اليوم إلى قرية (موندهاوزه) فريق من علماء الفضاء السوفييت والأمريكيين لدراسة الآثار المحتملة لسقوط النيزك - الذي اصطلحوا على تسميته (نيزك موندهاوزه) - والذي دخل المجال الجوي في ١٤ فبراير،

ويؤكد الأهالي بالقرية أنهم شاهدوا ضوءًا ساطعًا يعمي الأبصار، وسمعوا دويًا مرعبًا اهتزت له النوافذ وتحطم زجاج الكثير منها.

لكن لم توجد آثار مادية ملموسة للنيزك ولم يره أحد يسقط ولم تتناثر منه شظايا أو مخلفات مما يجعل الأمر مثيرًا لجدل علمي واسع.

وقد التقينا بالبروفسير (نيكفور أنسيمفتش) من معمل (لينجراد) لأبحاث الفضاء، وسألناه عن رأيه فيما حدث.. فقال لنا:

إن الأمر كله غريب.. ولقد قمنا بفحص دائرة قطرها ثلاثون كيلومترًا دون أن نجد أثرًا لهذا النيزك.. لا شيء سوى زجاج النوافذ المحطم وحكايات الأهالي. لقد حدثت الظاهرة ليلًا ولم تستغرق

سوى عشر دقائق لكن الجميع رأوها هنا.
هل وجدتم اثار إشعاعات؟
بالطبع لا وإلا ما كنا هنا نثرثر.. إن ما حدث هو تكرار شبه تام لنيزك ١٩٠٨ في (سيبيريا) والذي اصطلح علماء الفلك على تسميته (نيزك تونجوس)، فيما عدا فارقًا واحدًا هو أن الأشجار لم تتحطم ولم تقتلع من جذورها.
هل تميلون إلى اعتبار ما حدث نوعًا من اللقاء مع سكان العوالم الأخرى؟
في الاتحاد السوفيتي لا نؤمن بهذه الترهات وليدة العقل البرجوازي وعشاق كتابات الخيال العلمي، ونحن نثق بوجود تفسير مادي جدلي لهذا الذي حدث.

أما الدكتور (مارك جودمان) من وكالة (ناسا) الأبحاث الفضاء الأمريكية فيؤكد:
أنا مؤمن بأن هذا نموذج آخر للقاءات اللصيقة من النوع الثاني، أي أن هناك من رأي جسمًا طائرًا غير معروف، وهذا الجسم قد ترك آثارًا مادية مؤكدة.
وهل هناك آثار مادية غير الزجاج المهشم؟
لقد قابلنا ثلاثة أو أربعة فلاحين كفت أبقارهم عن إدرار اللبن.. ونحن نقابل هذه الشكوى دائمًا في كل حالات ظهور الأجسام الطائرة غير المعروفة.. أو ما يسمونه بشكل أقل تحفظًا بـ (الأطباق الطائرة).
وما هي خططكم الحالية؟

لا شيء. سنقابل الجميع ونصغي لقصصهم. ثم نحلل دماءهم ونفتش كل مكان بحثًا عن الإشعاعات. ونرسل بعض الصخور والنباتات إلى معاملنا لفحصها، وفي العادة لن يسفر كل هذا عن شيء لكننا سنفعله على كل حال!

* * *

ركن (هواة الأدب) في مجلة (جيجنفارت):

وصلتنا قصيدة شعرية من (بيتر شمارت) الذي يبلغ من العمر عشرين عامًا ويقيم في (موندهاوزه) جوار (بازل). يقول (بيتر) إنه مولع بأشعار (شيللر) وإنه يكتب الشعر من قبل أن يتعلم الكلام.

ويصف (بيتر) لنا ليلة الرابع عشر من (فبراير) حيث رأى (رؤيا علوية) على حد قوله، وأنه رأى ملائكة السماء آتين من أجله (ليحملوه نحو السر الأعظم). ومن الواضح أن حادث النيزك الذي كاد يزيل قريته من على وجه الخارطة قد أثر في معنوياته كثيرًا، وها نحن أولاء نقدم لكم مقطعًا من قصيدته التي أسماها (نيزك):

لم يكن ثمة شيء..
إلا أنه حين دوّى اللحن العلوي..
والتمعت السماء ببرق غير أرضي..
عندئذ جاء الشيء..
كعنقاء جاءت من أرض الأساطير..
أو كمقطع من (باخ)..
أو حلم من دنيا (تريستان وأوزوالد)..
جاء يزور عالمي...

جاء يحملني معه إلى السر الأعظم...
لم أر وجوههم.. لم أسمع أصواتهم..
لكنني عرفت أنهم جاءوا.....

هذا هو المقطع الذي اخترناه من قصيدته مفرطة الطول، وسنسمح لأنفسنا أن نفترض أن (بيتر) يكتب الشعر في دورة المياه وعليه أن يكف عن هذه العادة إذا أراد أن يكتب شيئًا مقبولًا يومًا ما....!

* * *

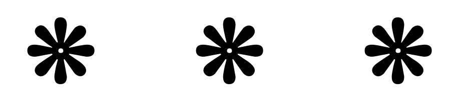
<u>ركن (حوادث وقضايا) في مجلة (جيجنفارت):</u>

وجد أحد الحطابين جثة شاب طافية فوق مياه جدول في قرية (موندهاوزه) جوار (بازل)، وتبين مفتشو الشرطة أن الجثة

لشاب من أهالي القرية يدعى (بيتر شمارت) (٢٠ سنة) وسبب وفاته أسفكسيا الغرق.

وقد أكد والده الذي يملك مزرعة صغيرة أنه يرجح انتحار ابنه، خاصة وأنه لم يعد على ما يرام في الآونة الأخيرة، وأنه شعر بعد سقوط النيزك بأن هناك حافزًا قويًا يدعوه إلى الصعود للسماء. ويؤكد الدكتور (هوفمايشتر) طبيب القرية أن ملامح الاكتئاب والتوتر بدأت تغير أسلوب الفتى وتعامله مع الآخرين مع تأكيده المستمر على (أنهم بيننا). ويؤكد الطبيب أنه عجز تمامًا عن فهم ما يعنيه بـ (هم).

ويثير هذا الحادث علامات استفهام عديدة حول أسباب انتحار الشباب في سن يمكن أن يقدم الكثير فيه.





وجد أحد الحطابين جثة شاب طافية فوق مياه جدول في قرية

(موند هاوزه) جوار (بازل) ..

من مفكرة فرويلاين[2] (مارتا) سكرتيرة (شويندر):

الثلاثاء ٢/٢٦:

١ - الاتصال بـ (شنايدر).

٢ - حساب البنك.

٣ - السفر مع البروفسير وضيوفه إلى مسقط رأس البروفسير في (موندهاوزه) - حتى ٣/٣ - ثياب ثقيلة.

٤ - إرسال خطاب (أنجا) قبل السفر.

* * *

(صورة لنفس المجموعة السابقة - تقريبًا - في ثياب شتوية.. ليتكم ترون منظري بالقلنسوة ومعطف المطر.. هذه المرة نقف

فوق الجليد، على حين تغطى الثلوج قمم أشجار (الشربين الفضي).. ومن بعيد تبدو مداخن الأكواخ مغطاة بالثلج الأبيض الناصع والبخار يتصاعد من أفواهنا..)

التقطت (مارتا) هذه الصورة لنا حتمًا لأنني لا أراها...

كانت هذه هي قرية (موندهاوزه) مسقط رأس (البروفسير) والتي أصر على أن نزورها خاصة وأنها لا تبعد أكثر من نصف ساعة عن (بازل).

١ - البروفسير (شوندر)..

٢، ٣ - أبوه وأمه، وإنني لأسائل نفسي عن سر بقائهما حيين كل هذه الأعوام.. في الواقع يبدوان لي أصبى من ابنهما.

٤ - أنا...

٥ - د. (هانز رايتمان)...

❋ ❋ ❋

صور سخيفة لي وأنا أتأمل المعالم الساحرة المعتادة في هذه القرى.. أرتدى لوحتي التزلج وهم يحاولون إقناعي بأن أفعل شيئًا.. صور لي في أكواخ خشبية وسط فلاحين ذوي شوارب كثة يجرعون الجعة التي تتناثر رغوتها فوق المناضد..

❋ ❋ ❋

قصاصة من جريدة (نويشاتل):

يغادر (سويسرا) اليوم وفد علماء وكالة (ناسا) الأمريكية ونظائرهم السوفييت بعد

انتهاء عملية المسح الشامل الذي أجروه على موضع سقوط النيزك في قرية (موندهاوزه).

ويقول د. (جودمان) (أمريكا) أن البحث لم يسفر عن شيء برغم المحاولات المستميتة التي قاموا بها هناك.

- إن النيازك لا تظهر وتختفي بهذه الطريقة. أن يرى الجميع ضوءًا ويسمعوا أصواتًا، ويشير كل شيء إلى أن هذا الجسم يقترب، ثم فجأة لا يعود هناك نيزك، وتعود الحياة إلى ما كانت عليه.

إننا - في (ناسا) - لا نؤمن بالهلاوس الجماعية.. وحين يرى عشرة آلاف رجل ظاهرة ما فمن الصعب أن نعزو هذا إلى الإيحاء.

ما من فلكي لا يذكر نيزك (تونجوسكا) الذي رآه كل سكان (سيبيريا) يهوي فوقهم، ثم تلاشى دون أن يترك أثرًا.

نحن - في (ناسا) - نميل إلى اعتبار هذه الظاهرة ناجمة عن اصطدام ثقب أسود صغير بالأرض.. فقط الثقوب السود لا تنفجر إلا إلى الداخل.. وقوة جاذبيتها الكاسحة تمنع بعثرة الجسيمات التي يصطدم بها الثقب الأسود..

إن السوفييت ميالون أكثر إلى فكرة المذنب الجليدي الذي يذيبه الاحتكاك بالهواء فلا يبقى له أثر. كالرجل الذي يقتل خصمه بلوح من ثلج فإذا ما ذاب الثلج اختفت أداة الجريمة.

إنني أرى الاحتمال الأخير وجيهًا خاصة وأننا - في هذه المرة - رأينا مذنبًا كاملًا يدنو من (أوروبا)، في عام ١٩٠٨ لم يكونوا قد رأوا أية مذنبات.

وعلى كل حال أرى أننا قمنا بكل ما يجب عمله، وقد حان الوقت لنعود إلى معاملنا حاملين عيناتنا وعلامات استفهامنا.

❋ ❋ ❋

ركن (جراح القلوب) بمجلة (جيجنفارت):

عزيزتي (مارليز):

أكتب إليك هذا الخطاب للمرة الأولى، ولا أدري السبب في الواقع.. فأننا لا أثق كثيرًا بالمشاكل التي تنشرها المجلات ولا أعتقد

دومًا في صحتها.. أحيانا أحسب أن أكثر من كاتب قصة قصيرة مغمور يتسلى بتأليف مشاكل تنشرها مجلاتكم.....

على كل حال وجدت نفسي في تلك المرحلة التي يحتشد فيها الدخان الأسود في الصدر فلا يجد مخرجًا إلا على شكل حبر أسود يخطه قلمي في رسالة إليك.....

هو: شاب في الخامسة والعشرين.. وسيم.. ناجح.. ويحبني..

أنا: فتاة حسناء لطيفة كما يقولون...

جاء إلى بلدتنا - وهي بالمناسبة قرية صغيرة جوار (بازل) - منذ عام هو وأسرته، وكانت هذه هي البداية.. أنت تعرفين كيف تتم هذه الأمور...

دعوة إلى حفل راقص.. همسة في أذني.. الخروج معًا في ليالي الصيف إلى الغابات.. ألحان الـ (روك أند رول)..

زهرة (البانسيه) خلف أذني والآمال في قلبي.. أبواه راضيان عن علاقتنا..

أبواي فخوران بها.. الكل في القرية ينتظر...

وفي تلك الأمسية - ليلة رأس السنة - قال لي وهو يلهث إنه يحبني ولن يرضى عنى بديلًا.. وقدم لي خاتم خطبة بسيطًا وطلب مني الزواج.. ولم يدعني أقدم ردي إلا بعد أن أمعن الفكر في مطلبه. ولم أكن - في الواقع - بحاجة إلى هذه المهلة...

ومرت أيام..

حدث شيء أليم لأخيه الأصغر (في العشرين من عمره) بعد معاناة قصيرة مع المرض النفسي.. انتحر هذا الأخ في الجدول..

لكن الأحزان تنتهي.. ومهما حدث لابد من نقطة تتوقف عندها العواطف وتبدأ الحقائق..

انتحيت به جانبًا بين أشجار (الكرك) المحيطة بداره، وقلت له إنني أوافق بكل سرور على ما طلبه مني لأنني أرى الوقت مناسبًا كي أكون بجواره..

وهنا أثار رد فعله ذهولي...

لم يبد على علم إطلاقًا بما أتحدث عنه.. كأنني لم أتفق معه على شيء.. ثم تركني وفر عائدًا إلى داره وسط نظراتي الحيرى.

ماذا دهاه؟

ما سر هذا التبدل الذي جعله شاردًا غريب الأطوار؟.. بل وأن جزءًا من مؤخرة رأسه قد صار عاريًا من الشعر تمامًا الأمر الذي أكد لي أنه يعاني توترًا قاتلًا.....

هل هو يخدعني؟.. هل أحس بأنه تسرع في عرضه؟.. أم هو ضحية صدمة عصبية تلت وفاة أخيه؟..

ما رأيك في هذا التصرف الشاذ عزيزتي (مارليز)؟

بإخلاص (إنريكه) - (موندهاوزه)

❋ ❋ ❋

عزيزتي (إنريكه):

حاولت أن ألخص خطابك للقراء نظرًا لطوله المفرط.. ودعيني أؤكد لك أنني شعرت بأسى بالغ من أجل حلمك الوليد، لكنني لا أدري السر الحقيقي وراء هذا التجاهل..

وإن كنت أميل للاعتقاد أنها حال طارئة تلت وفاة الأخ، فإما أنها نوع من النسيان الهستيري يحاول بها أن يمحو الامه، وإما هو يعرف أن أخاه انتحر لأنه يحبك - هذا احتمال وارد.. ألم تفكري فيه؟ - ولعبت عقدة الذنب دورها...

لا شيء أنصحك بعمله...

كل ما عليك هو الانتظار..

فإما أن يبرأ من ألمه ويعود لك دامعًا طالبًا الغفران، وإما أن يرحل للأبد وينتهي

هذا الفصل من حياتك، عندئذ يا صغيرتي دعيني أصارحك بأنك بعد شابة وجميلة (كما تقولين إنهم يقولون). ولم تحن قيامة العالم بعد...

هناك آخرون ينتظرون في الصف، فلم لا تعطينهم فرصة؟!

(مارليز)

❋ ❋ ❋

- ٣ -

من ملفات د.(هوفمايشتر) الطبية:

الاسم: (هاينز شمارت).
السن: ٢٥ عامًا.
المهنة: رسام.
الرقم: ٤١٨٣٤ - ب.
الشكوى: نقص في الوزن - تساقط شعر الرأس - توتر عام.
الفحص: يعاني الشاب من نقص مطرد في الوزن (حوالى ٢ كجم) في الأسبوع مع شهية طيبة للطعام..

يوجد تساقط للشعر في مؤخرة الرأس - الجلد سليم تمامًا فلا ندوب ولا التهابات ولا قشور (فقدان شعر منطقي؟) - الجزء الذي تساقط عنه الشعر يشبه دائرة كاملة الاستدارة.

الفحص المخبري: لا فطريات في فروة الرأس - تحليل السكر سلبي - هرمونات الغدة الدرقية عادية - لا طفيليات[3].

التشخيص:

إنها لحالة محيرة، وإنني لأميل لاعتبارها ناجمة عن فرط التوتر الذي تلا وفاة أخيه (بيتر).. لقد كان (بيتر) هو الآخر غير مستقر نفسيًا وكانت له هلاوس عدة.. وأعتقد أن هذا هو ما حدث مع (هاينز).

من الواجب هنا أن أذكر أن (هاينز) لم يبد أدنى استعداد للتعاون، وأنني قمت بفحصه قسرًا بناء على طلب أبويه اللذين أقلقهما تدهور صحته وميله للانعزال ومشاجراته المستمرة مع (إيرين) شقيقته الصغيرة (١٠ أعوام).

لهذا كله أؤثر أن أسمى الحالة (اكتئاب تفاعلي حاد).

العلاج:

مضاد اكتئاب حلقي ثلاثي إلى أن تتضح الصورة أكثر.

* * *

صفحات من مجلة (موندهاوزه):

لما كانت مجلتنا معنية بكل جديد في قرية (موندهاوزه) - باعتبارها مجلة محلية يصدرها نادي شباب القرية - فإننا فخورون بأن نقدم لكم ضيفًا جاء قريتنا منذ أيام بعد ما شارك في أحد مؤتمرات الصحة العالمية في (جنيف)، وهو البروفسير (رفعت إسماعيل)، مصري آت إلينا من أرض النيل والأهرام، في وطنه يقوم بتدريس أمراض الدم لطلاب الطب، وقارئ ممتاز، ويملك خبرة لا بأس بها بعالم ما وراء الطبيعة كما قال البروفسير (شوندر) عنه.. فهو الرجل الذي يزعمون أنه واجه لعنة الفراعنة و (الزومبي) ووحش (لوخ نس) ويعرف الكثير عن حقيقة (الياتي) ومذءوبي (رومانيا)..

ولما كانت قريتنا قد جابهت حادث النيزك الغامض منذ أيام معدودة - مع ما يحمله ذلك من احتمال وجود طبق طائر أو شيء من هذا القبيل - فإننا طلبنا من د. (رفعت) أن يكتب لنا مقالًا عن رؤيته الخاصة للأحداث واحتمالات قدوم سكان من عوالم أخرى، فكان هذا المقال الذي ترجمه من الإنجليزية إلى الألمانية البروفسير(شوندر) بنفسه:

طلبت مني مجلة (موندهاوزه) - مشكورة - أن أبدى آرائي في أمور لا أعتقد أنني خير من يتحدث عنها، لكن الطلب أثلج صدري وأرغمني على أن يكون لي رأي في أمر لم يشغل بالي قط.

ونظرًا لأنني لا أجيد من الألمانية سوى ست كلمات وجملة واحدة هي: كاين دويتش (لا أتكلم الألمانية)!، فإنني كتبت ما أريد قوله بالإنجليزية على أن يترجم هذا فيما بعد.

سألني محررو المجلة الكرام عن رأيي في وجود زائرين من عوالم أخرى، وقد شعرت بأنهم يتوقعون أن أقول: نعم، وأبدأ في سرد قصص ممتعة للغاية حدثت لي شخصيًا..

الواقع أنني سأخيب أملهم.. فأنا لا أعتقد في وجود شيء ما. وأثق تمامًا بأننا منفردون معزولون في هذا الكون اللامتناهي..

ما هي حجتي في هذا التصريح المتعسف؟..
أولا: لم تنجح كل محاولات المراقبة السمعية للفضاء - بكل الأجهزة الضخمة المتاحة - في اكتشاف إرسال لاسلكي يشتبه في كونه ذا أصل اصطناعي.
ثانيًا: يرى عالم الفضاء الروسي (شكلوفسكي) أنه ما دامت هناك فترات نشوء متباينة في الكون فمن المحتم أن تسبقنا حضارات عدة تكون بالنسبة لنا (عليا)، ومن المحتم أن تتأخر عنا حضارات أخرى، الحضارات المتأخرة لن تتصل بنا.. أما الحضارات المتقدمة فبالتأكيد وصل بعضها إلى تقنيات عالية

وأساليب راقية لاستخدام الطاقة، مما يجعل اتصالها بنا أكيدًا.

لكن هذه الحضارات العليا لم تتصل بنا بعد.. إذن لا توجد حضارات عليا، وبالتالي فلا حضارات على الإطلاق.

إنني أومن بهذا المنطق تمامًا.

ثالثًا: أنا أعرف أن الفضاء غني جدًا بالكربون - أساس الجزيئات الحية - وأعرف أن الغازات ما بين المجرات تخلق فيها جزيئات عضوية معقدة، لكن هذا لا يعني وجود حياة.. بل يعني أن تكوين كوكب من سحابات الغاز هذه يؤدي إلى هدم هذه الجزيئات المعقدة، وهذا يعني أن الجزيئات العضوية توجد في الفضاء لكن ليس على سطح الكواكب وهذا دليل آخر.

أنا أتمنى أن نقابل كائنات الفضاء في حياتنا، لكنني أرفض تمامًا أن نضيع الوقت والمال بحثًا عنها..، إذا كانت هذه الكائنات هنالك فلتأت وإلا فلتدعنا مع مشاكلنا العتيقة المعروفة: المرض.. الفقر.. الجوع.. الطغيان...

❋ ❋ ❋

__عدد تال من نفس المجلة:__

بريد القراء:

(س. ر. ك): إنني أعتبر نفسي من قراء مجلتكم المدمنين. إلا أنني في عدد سابق قرأت مقالًا يدل على الغباء عن سكان الكواكب الأخرى، كتبه شخص يتظاهر بأنه لا بأس به.

وإنني لأرجو أن تتوخى المجلة الحرص فيما تكتبه وتنشره بعد ذلك لأن أمثال هذا المتعصب يقللون من أرقام التوزيع إلى حد لا يصدق، ويبلبلون الفكر بعدوى من عقولهم المريضة المحرومة من ملكة الخيال.

* * *

قصاصة من إحدى الصحف:

النشرة الجوية:

تتزايد برودة الطقس بشكل مطرد وتهطل أمطار جليدية على شمال البلاد حيث تنخفض الحرارة إلى عشرين درجة تحت الصفر. ومن المحتم أن يؤدي الجليد إلى حصار بعض القرى الجبلية، أما في

الجنوب فيكون الطقس مطيرًا باردًا. لهذا نقول لسكان الشمال أن يأخذوا حذرهم وألا يفرطوا في التفاؤل!..

* * *

ركن (طبيبك) بمجلة (جيجنفارت):

• (ملدريد إ.) قارئة من إحدى الضواحي لاحظت أن شقيقتها قد فقدت الكثير من وزنها في الآونة الأخيرة، وتقول إن هناك جزءًا عاريًا من الشعر في مؤخرة رأسها.. وإن هذا الجزء يشبه دائرة كاملة الاستدارة. وتقول إن شقيقتها تأبى إجراء فحوص طبية أو حتى السماح لطبيب بأن يراها. وفي النهاية تتساءل (ملدريد) ما إذا

كان هذا المرض معديًا، وما هي احتمالات إصابتها هي به؟ كما تتساءل عما إذا كان امتلاك أسرتها لثلاث قطط وكلب له دور في هذا؟

البروفسير (إ. هوزه) أخصائي الأمراض الجلدية يجيب قائلًا:

ربما كان هذا نوعًا من (فقدان الشعر المنطقي) مصاحبًا لتوتر أو إرهاق عام، وربما كان نوعًا من العدوى الفطرية للشعر. وفي كل الحالات لا يمكن أن نقرر قابلية العدوي - والشفاء - دون أن نرى رأس شقيقتك المتصلب. حاولي إقناعها بأخذ رأي أحد الأطباء الموثوق برأيهم.

• (هنكل و.) من نفس الضاحية يلاحظ تبدلًا غير عادي في طباع صديقه الوحيد،

ويخشى أن يكون قد سقط فريسة عقار (إل إس دي) الذي قرأ عنه كثيرًا.

الدكتور (شوستر) من (بازل) استشاري الأمراض النفسية يقول:

أنت لم تحدد لنا ما تعنيه بتبدل الطباع. إن عقار (إلى إس دي) - أو (ليزرجيك أسيد داي إيثيل أميد) - ليس هو المخدر الوحيد في العالم حتى تتهمه، فضلًا عن أن الشباب في (سويسرا) لا يعرفه لحسن الحظ.

وعلى كل حال ثمة أمراض عديدة قد تتداخل علاماتها مع أنواع المخدرات، ولكم من مرة قبض البوليس على مخمور يترنح ثم اتضح بعد ذلك أنه مصاب بغيبوبة نقص السكر.

نحن لا نريد أن نظلم أحدًا. يمكنك أن تحضره لمقابلتي في (بازل) وعندئذ نستطيع وضع النقط على الحروف.

❋ ❋ ❋



لاحظت أن شقيقتيه قد فقدت الكثير من وزنها فى الآونة الأخيرة .

وتقول إن هناك جزءا عاريا من الشعرة فى مؤخرة رأسه ..

<u>منشور من بلدية (موندهاوزه) للسكان:</u>

نظرًا لسقوط الثلوج بكثرة في الأيام الثلاثة السابقة، صارت مغادرة القرية متعذرة، لكن الاتصال الهاتفي سليم ويمكن لخدمات الهاتف والبرق أن تستمر طيلة فترة الحصار.

نحن بحاجة إلى متطوعين يعاونون في إزالة الثلوج من الطرقات الرئيسية، ونهيب بالأهالي ألا يقلقوا لأن الحصار لن يستمر أكثر من أسبوع حتى يذوب الجليد أو تأتي الكاسحات أيهما أسرع.

إن لدينا ما يكفي من المؤن والوقود. ويمكن لمن يحتاج إلى أخشاب أن يحصل على حاجته من مخزن البلدية.

* * *

تلغراف إلى (بازل):

حبيبتي..

لا تقلقي (قف) اضطرتنا ظروف المناخ إلى إطالة إقامتنا في (موندهاوزه) (قف) معي ضيوفي (قف) سنعود بعد أسبوع.

زوجك (فريدي)

* * *

صورة غريبة جدًا للثلوج تحاصر النوافذ كأننا في (سيبيريا).. لقد بلغ ارتفاع الجليد مترًا ونصف المتر..

تجمد الماء في المواسير فكان علينا إذابته بالمشاعل لنحصل على حاجتنا منه.. واضطر الأهالي - كما ترى في الصورة - إلي حفر أنفاق أمام أبواب ديارهم ليتمكنوا من الخروج والدخول..

الواقع أن كل شيء في الجو كان يروق لحيوانات (الرنة) وكلاب (الهسكي) و (بابا نويل).. لكنه - حتمًا - لا يروق لعجوز مثلي يرتدي الجوارب الصوفية حتى منتصف (مايو) في مصر!

❋ ❋ ❋

<u>من مذكرات د. (هوفمايشتر):</u>

هل هو وباء؟

أشعر بريبة مما أراه لكنه حقيقي.. إن هناك عددًا لا بأس به من (حالات تساقط الشعر الدائري) وفقدان الوزن في الآونة الأخيرة.. وكلهم مراهقون أو شباب..

إن هذا لعجيب..

حالة (هاينز) تتكرر باطراد غير عادي، فما هو التفسير؟.

لو لم يقولوا إن النيزك الذي كاد يدمر قريتنا كان خاليًا من الإشعاعات لظننت أن ما أراه هو تأثير إشعاعي مدمر..

حين تتحسن الظروف الجوية سأبرق إلى (وزارة الصحة) طالبًا رأيهم، وسأتخذ من الإجراءات ما يلزم لفحص دماء هؤلاء الشباب.. فمن أدراني أن سرطان الدم لم

يتفش فيهم على غرار ما حدث بعد قنبلة (هيروشيما)؟..

الأكثر غرابة هنا هو التغيير النفسي والاكتئاب الذي أصاب كل هؤلاء.. أنا لا أفهم سببًا له في الواقع، وأرجو أن أجد من يساعدني على الفهم..

❋ ❋ ❋

من مفكرة فرويلاين (مارتا) سكرتيرة (شوندر):

الأحد ٣/٢:

١ - حضور الصلاة في الكنيسة.

٢ - موعد مع د. (هوفمايشتر) في العيادة بناء على طلبه.

٣ -........

* * *

تفريغ تسجيل الحوار تم بين البروفسير (شوندر) ود. (رفعت إسماعيل) ود. (هوفمايشتر) ود. (هانز رايتمان).

(أصوات جلبة، صوت أقداح تصطدم، ضحكات).

د. (شوندر): وكما قلت لك من قبل...

د. (رايتمان): لماذا تقوم بالتسجيل؟

د. (هوفمايشتر): أحتاج إلى مراجعة كل ما سيقال في هذه الجلسة.. أنا أعرف يا بروفسير (شوندر): أنك مختص بأمراض الدم فضلًا عن كونك من أبناء قرية (موندهاوزه) ويهمك أمرها..

د. (شوندر): هذا صحيح..

د. (رفعت): إنه منتم كما يجب أن يكون قالها بالإنجليزية، (الملاحظ في هذا التسجيل أن د. (رفعت) يفهم الألمانية إلى حد ما لكنه عاجز عن استخدامها، ولهذا لم يكن بحاجة إلى مترجم..)..

(صوت ضحكات)

د. (رايتمان): أنت تتكلم كأنها نهاية العالم..

د. (هوفمايشتر): أخشى أنني أشعر بذلك فعلًا..

د. (شوندر): هلا تحدثت بوضوح أكثر..

د. (هوفمايشتر): إن القصة تتعلق إلى حد كبير بحادث سقوط ذلك النيزك الذي لم يسقط قط.. لاحظت حالتين مرضيتين فريدتين في أسرة واحدة.. أولًا الشاب (بيتر

شمارت).. شاب عادي جدًا في العشرين من عمره رأى ظاهرة الضوء العجيبة فبدأ حالة من (الانجذاب) غير المبرر نحو رؤيا علوية زعم أنها جاءت ليراها..، بعد ذلك بأيام نجده متوفيًا غارقًا في الجدول، وكل شيء يؤكد أنه انتحر...

د. (رفعت): هذا ليس مستحيلًا.. لقد شعر أن السماء تناديه أو أي شيء من هذا القبيل.. (بالإنجليزية).

د. (هوفمايشتر): لكن القصة لم تنته عند هذا الحد.

د. (شوندر): هلا كففت عن الاستنتاجات بعض الوقت يا د. (رفعت) حتى نسمع القصة كاملة؟

د. (هوفمايشتر): بعد هذا نرى أعراضًا اكتئابية حادة تحاصر شقيقه الأكبر (هاينز).. إنه يفقد وزنه باستمرار.. وثمة دائرة خاوية من الشعر في مؤخرة رأسه..

د. (رايتمان): وماذا في ذلك؟.. إنه التوتر..

د. (هوفمايشتر): خطر لي ذلك طبعًا وعالجته بأدوية اكتئاب والمهدئات على الرغم منه في الواقع لأنه كان نافرًا من أي علاج أو فحص.. ونسيت الأمر برمته.. إلا أنني بدأت أرى هذه الحالات بشكل أكثر من المعتاد..

د. (شوندر): ماذا تعني؟.. رأيت نفس الحالة مرارًا؟

د. (هوفمايشتر): رأيت ثلاث حالات في أسبوع واحد.. فهل ترى هذا العدد كافيًا لإثارة الريبة؟

د. (شوندر): ونفس رقعة الشعر المستديرة؟

د. (هوفمايشتر): بالتأكيد...

د. (رايتمان): لكن هذا يؤكد وجود نوع من العدوى.

د. (شوندر): لم يسمع أحدنا عن وباء يحدث نفس الأعراض.. وفي نفس الموضع..

د. (رفعت): ما هو احتمال أن تكون مصادفة؟

د. (هوفمايشتر): لست خبيرًا رياضيًا.. لكن احتمال تكرار هذه الصورة في هذه

القرية لابد أنه لا يتجاوز واحدًا في البليون...

د. (رفعت): وهذا هو ما يحيرك؟

د. (هوفمايشتر): نحن معزولون في القرية وأنا المسئول الوحيد عن صحة أهلها، وهي مسئولية ثقيلة جدًا.. أثقل من أن أحتملها وحدي.. لابد من رأي آخر معي...

د. (شوندر): ولكن ماذا يثير توترك إلى هذا الحد؟ هل ثمة خطر مباشر على هؤلاء؟

د. (هوفمايشتر): لا أستطيع استبعاد هذا..

د. (شوندر): آه.. أنت تفكر في (هيروشيما) أو شيء كهذا.

د. (هوفمايشتر): هذا وارد...

د. (رايتمان): إذا سمحتم لي.. لماذا نفترض وجود علاقة مباشرة لما يحدث بسقوط النيزك؟

د. (هوفمايشتر): لأن حدوث ظاهرتين غريبتين منفصلتين في شهر واحد أمر لم يألفه البشر حسب نواميسهم...

د. (شوندر): إذن فلنرتب أفكارنا.. الاحتمال الأول هو احتمال وجود إشعاعات غامضة خرجت من النيزك..

د. (رايتمان): الاحتمال الثاني هو احتمال حدوث وباء جاء به النيزك أو لم يجئ به.. سيان...

د. (رفعت): الاحتمال الثالث هو حدوث مصادفة أدت لاحتشاد عدة حالات غامضة لكل منها تفسير خاص بها..

د. (شوندر): قوانين الاحتمالات تنفي هذا الاحتمال..
د. (رايتمان): الاحتمال الرابع هو أن هناك غزوًا ما قد حدث لأجساد هؤلاء الضحايا..
د. (شوندر): غزوًا ممن؟.. تعني كائنات غير مرئية؟
د. (رايتمان): لم لا..؟.. إن تغير الشخصية يعزى - منذ فجر التاريخ - إلى مس شيطاني، وهذا المس يحدث علامة ما في جسد الضحية.. لم لا نعيد إحياء هذا المعتقد الآن؟..
د. (رفعت): إن هذا الاعتقاد عسير الهضم...

د. (هوفمايشتر): الحق يا سادة أن هذا ما يقلقني..

د. (شوندر): ماذا تعني؟..

د. (هوفمايشتر): ثمة دلائل معينة توحي لي أن هؤلاء الأشخاص لم يتغيروا بالمعنى الحرفي.. أحيانا يخيل إلى أنهم لم يعودوا هم.. كأنهم صاروا آخرين!

(صوت شهقة ذعر.. صوت قدح يتهشم..)..

❋ ❋ ❋

- ٤ -

<u>ركن جراح القلوب بمجلة (جيجنفارت):</u>

عزيزتي (مارليز):

كتبت لك منذ أيام أحكي لك قصة فتاي الذي وعدني بالزواج ثم حدث له تغير مريب في شخصيته بعد وفاة أخيه الصغير، مما جعله ينكرني تمامًا بل ويفر مني فرار السليم من المجذوم...

قرأت ردك وراق لي كثيرًا واخترت أن أنتظر عله يشفى من العاصفة التي هزت عالمه ويعود لي..

بالفعل عاد.. لكن عودته كانت أكثر غرابة من رحيله..

أسكن أنا وأسرتي في بيت من طابقين عند أطراف قريتي، وكانت السيول الثلجية قد غمرت البلدة حتى ارتفع الجليد محاصرة الديار جميعًا..

وكنا نمضي وقتنا في البيت بين جلوس حول المدفأة نقرأ.. أو نستمع إلى المذياع.. أو أحاول الرسم بألوان (الباستيل) التي علمني هو استخدامها يومًا ما..

وفي تلك الليلة صعدت إلى غرفتي بالطابق الثاني فشرعت أصغي إلى موسيقا (الروك) وأحاول تطريز (بول أوفر) يناسبه لو جاء لي يوما عائدًا نادمًا...

وهنا سمعت طرقات على زجاج النافذة فأجفلت..

إن نافذتي - كما قلت - تقع في الطابق الثاني، وبالطبع لم يرتفع الجليد إلى هذا الحد.. فمن الذي يقرع الزجاج إذن؟

نهضت في توجس إلى النافذة التي احتشد الجليد على إطارها السفلي فرأيت وجهه هو!.. هو بالذات وهو يلهث بردًا وإعياءً وقد ارتدى قلنسوة من الفراء..

وبصعوبة أدركت أنه متعلق بماسورة الصرف بيده الأخرى.. فتحت المزلاج في عصبية فانساب الثلج والهواء البارد إلى الداخل وعلى السجادة تكونت قطرات ماء من قطع الجليد الدقيقة التي ذابت هناك..

ورأيته يستجمع قواه حتى حشر جسده في الإطار ثم وثب إلى الداخل ليتكوم على الأرض..

سألته في لوعة ورعب عما جاء به هاهنا، فقال وهو يرتجف إنه كان بحاجة إلى الانفراد بي ليخبرني بشيء هام..

ساعدته على خلع معطفه والجلوس جوار المدفأة وشرعت بفرشاة خشنة أزيل الجليد عن كتفيه وخصلات شعره..



ورأيته يستجمع قواه حتى حشر جسده فى الإطار ثم وثب إلى الداخل
ليتكوّم على الارض ..

فما إن استعاد روعه حتى قال إننا يجب أن نرحل معًا وألا يعرف أحد برحيلنا.. كيف؟ من النافذة طبعًا!..

هنا - أصارحك عزيزتي (مارليز) - تحركت في أعماقي نشوة الأنثى وفخارها.. فها هو ذا حبيبي قد تجشم المخاطر من أجل أن يصل إلى، و هوذا يدعوني إلى مغامرة صغيرة من النوع الذي يحدث للأخريات فقط..

فهل أرفض دعوته؟.. لقد كانت لقلبي الكلمة العليا على عقلي.. فتدثرت في معطف ثقيل ووضعت على رأسي غطاءً ثقيلًا ثم تسلقت النافذة بمعاونته وشرعت أنحدر بحذر على الماسورة بعدما واربت النافذة طبعًا..

لم يكن الأمر صعبًا - وهذا لا يقلل مخاطرة فتاي - لأن الجليد كان مرتفعًا حتى أن السقوط من النافذة لم يكن يعني سوى ارتفاع ثلاثة أمتار لو حدث...

وعلى الثلوج شعرت به يمسك يدي ويقودني في الظلام إلى... إلى الغابة المظلمة الباردة حيث تقف أشجار (اللارك) كنواطير أسطورية تراقب المكان، وتخيف من تسول له نفسه الاقتراب.. سرنا بضع دقائق وهو صامت... صامت...

وفجأة استدار لي وهمس. إنه يعتذر على كل ما بدر منه من تجاهل لي في الآونة الأخيرة.. قال لي إن إرادته سلبت يوم مات أخوه.. قال لي إنني الأولى والأخيرة.. قال لي إنني رفيقة دربه و...... و....

إن الانبهار لمعدٍ.. ولقد كنت أسمع أنفاسه المبهورة فأشعر بأنفاسي هي الأخرى تتقطع.. وفي عينيه كان ذلك النداء الذي أغرق الفئران في النهر في قصة الأخوين (جريم)..

قال لي إن له عددًا من الأصدقاء يريد مني أن أتعرفهم..

وإن هناك الكثير مما يمكن أن نقوم به ما لو أنني صرت واحدة منهم.

وهنا رأيت ظلالًا وأشخاصًا يدنون منا فوق الجليد.. إنني أعرف هؤلاء.. كلهم من قريتي...

كانوا يبتسمون.. أربعة شبان وفتاتان....

ابتسمت لهم في حرج - فلم أتوقع أن يرونا في هذه الخلوة - لكنهم لم يبتسموا..

الظلال تغمر ملامحهم والظلام يغلف سماتهم..

دنوا منا أكثر ولمحت عيونهم تلتمع..

كان شيء ما غير مريح في ملامحهم.. بالواقع لم يكن أي شيء مريحًا في ملامحهم..، وسمعت إحداهن تقول لي:

- هلمي يا (إنريكه).. كوني واحدة منا..

وابتسمت أكثر..

سألتها في حيرة وأنا أتخذ من إحدى الأشجار واقيًا لظهري:

- أنتم؟.. من أنتم؟.

- نحن.. الغرباء!

دوى صوتها البارد في الظلام فشعرت برأسي يدور..

امتدت يد فتاي إلى يدي، وشعرت بضغطة ملأى بالرفق والمودة.. وسمعته يغمغم:

- لا تخشي شيئًا يا (إنريكه) ما دمت أنا معك..

وفي يده لمحت زجاجة صغيرة مغلقة أزال سدادتها وقربها من فمي في رقة وهو يهمس بصوت كالفحيح جمد تعاريج مخي:

- هيا.. إشربي من هذا..

- لكن..

- هلمي يا (إنريكه).. كوني واحدة منا..

وفجأة تعالى نوع من الهتاف الخفيف.. بدأ كالفحيح من حناجر الجميع ثم بدأ يتعالى ببطء.. ببطء.. حتى صار أقرب إلى الهمس المسموع.. كانوا يرددون اسمي مرارًا

وتكرارًا بطريقة هي أقرب إلى التنويم المغناطيسي..

- (إنريكه)..!.. (إنريكه)!

- لكني لا أريد..!.

- (إنريكه)..!.. (إنريكه)!

- أنا لا أشـ......

- (إنريكه)..!.. (إنريكه)!

ولمحت فتاة من الفتاتين تدور حولي في دوائر متصلة آتية بحركات راقصة بطيئة.. إنه جزء من ذات التنويم المغناطيسي.

- (إنريكه)..!.. (إنريكه)!

ولمحت مؤخر رأسها.. كان هناك جزء خال من الشعر تمامًا على شكل دائرة!.. مثلها.. مثل فتاي.. فما معنى هذا؟

انتابني الذعر وشعرت بأنني فريسة تشكيل عصابي من نوع ما.. استجمعت قواي ووجهت للفتاة دفعة قوية فسقطت أرضًا.. كانت تضحك!..

المفزع أنها كانت تضحك برغم سقطتها!..

اندفعت أركض مذعورة فوق الثلوج.. أتعثر.. أنهض.. أنزلق.. أبكي.. تتجمد الدموع على خدي..

لكنني - من ورائي - كنت أسمع صوت ضحكاتهم الساخرة.. أسمعها حتى خرجت من الغابة ووصلت لداري.. وتسلقت ماسورة المياه عائدة إلى حجرتي حيث ظللت أرتجف وأبكي برهة...

والآن.. أستحلفك بالله يا (مارليز) أن تقولي لي حقيقة ما حدث، وكيف أتجنب هذا الموقف المريع...

لم أعد أريده.. إنني أمقته..

لكنني - فقط - أعيش في رعب من أن أسمع مرة أخرى صوت الطرقات على زجاج نافذتي..

بإخلاص: (إنريكه) - (موندهاوزه)

* * *

وصل هذا الخطاب إلى المجلة بعد أسبوعين بسبب ظروف الطقس وتعطل الخدمة البريدية.

وحين وصل.. كان رد (مارليز) - محررة الباب - كما يلى:

عزيزتي (إنريكه):

قرأت مشكلتك ببالغ الأسى والعطف على اللحظات المريرة التي مررت بها دون داع في الواقع..

أنا أرى - دون تزويق - أن ما مررت به لهو دعابة قاسية قام بها أشخاص لا خلاق لهم، وإن موضة (الهيبيز) الحالية ومذكرات زعمائهم التي تنتشر في كل موضع باعتبارهم أبطال العصر لهي السبب في كل ما يحدث لشبابنا من تخريب..

وسأقدم لك نصيحتي دون إبطاء..

أولًا: لقد انتهى أمر خطيبك هذا تمامًا ولن نعود إلى هذا..

ثانيًا: يجب إبلاغ الشرطة بأسماء هذه العصابة..
ثالثًا: يجب إبلاغ أبويك..
رابعًا: يجب أن تجدى غرفة أخرى في المنزل حتى ولو كان الجليد قد ذاب في (موندهاوزه).. هذا هو رأيي يا (إنريكه) ولا تحاولي المساومة فيه لأنه نابع من ضميري وقناعاتي..
اكتبي لي باستمرار.

(مارليز)

* * *

قائمة مبيعات متجر(شلوندرف) الاثنين ٣/٣:

....

....

قلنسوة صوفية عدد: ٦ السعر: ٦ × ١٢ فرنك

خنجر من الصلب الممتاز عدد: ٧ السعر: ٧ × ١٠ فرنك

....

* * *

<u>إشارة هاتفية في مركز الشرطة:</u>

اليوم ٤ مارس - الساعة ٨:٤٠:

العثور على جثة في منزل (ستورلي). انتقلت سيارة الشرطة إلى هناك للتحري.

* * *

التقرير الذي كتبه المفتش (شبيرت) عن الحادث:

بناء على مكالمة هاتفية من (ماكس ستورلي) مزارع من أبناء القرية، انتقلنا إلى منزله المكون من طابقين عند أطراف الناحية، وقد استغرق الأمر ساعة بسبب الجليد الذي يسد الدروب حتى أننا اضطررنا لأن نترجل.

وفي المنزل المذكور وجدنا ابنة المزارع البالغة من العمر ثمانية عشر عامًا (إنريكه ستورلي) جثة هامدة في حجرتها بالطابق العلوي..

وكانت هناك آثار طعنات في جسدها وقد تناثرت الدماء على جدران الحجرة، كما كانت هناك آثار معركة في المكان.

وقد تبين لنا أن نافذة الحجرة مفتوحة حتى أن الفراش كان مغطى بندف الثلج التي لم يذب بعضها، والتي تسربت عبر النافذة. مما أكد لنا أن مرتكب الفعلة قد دخل من هذا الموضع..

ونظرًا لعدم وجود رجال معمل جنائي، فإننا حرصنا على إبقاء الحجرة على ما هي عليه حتى لا تتلف أية بصمات أو آثار.

وقمنا بانتداب طبيب القرية د. (فولب هوفمايشتر) لفحص الجثة توطئة لدفنها حيث إن استدعاء المشرح العدلي كان مستحيلًا. وقد قام د. (هوفمايشتر) بفحص الجثة وأكد أنها توفيت نتيجة طعنات بأداة حادة كالخنجر، وعدد الطعنات هو أربع

منها اثنتان في منطقة القلب والرئة كانتا سبب الوفاة الأساسي.

ولم يتبين د. (هوفمايشتر) الوقت الذي حدثت فيه الوفاة لأنه لا يملك الخبرة الكافية لهذا كما قال.

وباستجواب الأب الذي كان منهارًا تمامًا، قال لنا إنه لم يسمع صراخًا أو أية جلبة لأن غرف داره غير منفذة للصوت. وقال إن ابنته كانت تمضي الأيام الأخيرة في الدار مع الأسرة حتى إذا جاء الليل صعدت لغرفتها تتسلى بالتطريز وتستمع لموسيقا (الروك) الصاخبة، العامل الثاني الذي منعه من سماع صوت مريب حيث جلس مع امرأته في غرفة المعيشة حتى ساعة

متأخرة من الليل، ثم ذهبا لحجرتهما فناما حتى الصباح.

وفي السادسة صباحًا ذهبت الأم لتوقظ ابنتها كعادتها حين وجدت المشهد الشنيع الذي أسلفنا ذكره.

والفراو (ستورلي) حاليًا في حالة تخدير دائم بالعقاقير المهدئة في محاولة لشفائها من الانهيار العصبي الذي داهمها.. ويؤكد الأب أن ابنته لم يكن لها أعداء أو صداقات غامضة وأنها كانت شبه مخطوبة للشاب (هاينز شمارت) من أبناء القرية.

فيما عدا ذلك لا يوجد ما يريب في قصة حياتها.

تحفظنا على الجثة ولم نسمح بدفنها إلى أن تنتقل إلى إدارة الطب الشرعي بعد انتهاء

العاصفة.
نواصل التحريات مع من كانت له علاقة بالفتاة.

* * *

بلاغ إلى الشرطة من حارس المقبرة:

في ليلة الثلاثاء ٣ مارس، سمعت أنا (هيرمان ماشتمان) جلبة قادمة من المقبرة.. الفناء الخلفي الذي تأكدت من غلقه..
لهذا غادرت داري حاملًا مشعلًا، وسرت - برغم الثلوج الكثيفة - بين شواهد القبور التي غطاها الجليد. وقد وجدت شيئًا مريبًا هو أن قبر الفتى (بيتر شمارت) الذي توفي

غرقًا من فترة قصيرة، وجدت هذا القبر مفتوحًا وقد نبشته يد ما.. أو هذا ما ظننته.. لم تكن هناك آثار أقدام فوق طبقة الجليد السميكة، كما لم أر أحدًا يتسلل في المكان، وبالتالي لا أملك تفسيرًا لما حدث.

س - هل تعتقد أن الجثة قد اختفت من نعشها؟

ج - لست واثقًا لكني أعتقد أن لا.. إن نابش القبور هذا لم يجد الوقت الكافي كي يكمل عمله..

س - ما هو تفسيرك لعدم وجود آثار أقدام حول القبر؟

ج - قلت أنني لا أملك تفسيرًا..

س - هل تعتقد أن الجليد المتساقط أخفى الأثر؟

ج - لم يكن الجليد يتساقط وقتها....

س - إذن ماذا تعني؟

ج - أعرف أن هذا هراء.. لكن يخيل إليّ كأن... كأن شيئًا داخل المقبرة كان يحاول الخروج منها!

❋ ❋ ❋

- ٥ -

تقرير كتبه البروفسير (شوندر):

بناء على طلب غير رسمي من د. (هوفمايشتر)، توجهت أنا وضيفاي - د. (هانز رايتمان) والمصري د. (إسماعيل) - إلى دار الشاب (هاينز شمارت) الذي يؤكد د. (هوفمايشتر) أنه أول حالة صادفها من حالات (الوباء) - إذا كنا سنعتبره كذلك - الذي داهم القرية في الأيام القليلة الماضية.

كانت مهمتنا محددة في خمس نقاط أساسية:

١ - هل ما يحدث جزء من وباء؟

٢ - إذا كان وباء فهل هو وباء معروف؟

٣ - هل ما يحدث نتيجة إشعاعات معينة؟
٤ - هل تشترك كل الحالات في نفس الصورة حقًا؟
٥ - يجب توصيف الصورة بدقة وعناية.

ولما كانت الأبحاث المعملية غير متاحة فإننا سنعتمد بشكل مطلق على حاستنا الإكلينيكية وعلى تقديرنا للأمور.

ذهبنا إلى البيت فقابلنا والداه، وعرفنا منهما أنه صار انعزاليًا إلى حد غير عادي، وأنه صار ينام النهار بطوله ويصحو ليلًا. وعرفنا أنه يغادر الدار ليلًا - خلسة - في جولات ليلية لا يدريان كنهها لكنهما يدركان حدوثها كلما وجدا الفراش خاليًا بطريق الصدفة.

قالت لنا شقيقته (إيرين) إنه صار عصبيًا دائم الشجار معها على غير عادته، وإنه لا ينفك يتحدث عن (الغرباء) وعن حادث النيزك. وقالت إنها ذات الكلمات التي كان يستعملها أخوها المرحوم (بيتر) قبل وفاته. لكنها نفت بإصرار أن يكون (بيتر) قد أصيب بفقدان شعر في مؤخرة الرأس..

كنا على وشك الصعود لغرفة الفتى حين وصل رجلان من رجال الشرطة، أحدهما المفتش (شبيرت) الذي تمت أمه بصلة قربى لأبي. وقد كان مسلك الرجلين مهذبًا ومتحفظًا - برغم أنهما لم ينزعا معطفيهما - وبدا لي أنهما يداريان شيئًا، ثم - بعد لأي - قالا إنهما جاءا بخبر غير سار.. لقد

وجدت خطيبة (هاينز) صريعة في ظروف أقل ما يقال عنها إنها مروعة.

وتبين لي أنهما جاءا غارقين في الشكوك بخصوص (هاينز).. ولم لا؟..

فحين تموت الزوجة يكون زوجها هو القاتل حتى يثبت العكس.. وحين تموت الخطيبة يكون خطيبها هو المتهم الأول خاصة إذا كانت علاقتهما على غير ما يرام في الآونة الأخيرة، وإذا كان الخطيب غريب الأطوار كما يؤكد الجميع..

طلب رجلا الشرطة الصعود إلي (هاينز) ليسألاه السؤال التقليدي في هذه الأمور: أين كنت في ليلة ٣ مارس؟.. هل يمكنك إثبات ذلك؟... هل هناك خلافات بينك وبين القتيلة؟

اقترح د. (رفعت) أن نؤجل فحص الفتى إلى ما بعد الاستجواب.. لكن المفتش (شبيرت) رأى من الحكمة أن نكون معه لنبدي رأينا الطبي في حالة الفتى العقلية...

وصعدنا إلى غرفة (هاينز) فقرع الأب الباب.. وانتظرنا هنيهة.. وهنا سمعنا صوتًا معدنيًا من الداخل يغمغم بعبارات السباب آمرًا من يقرع الباب أن ينصرف...

لكن الأب أصر على موقفه.. سمعنا جلبة ثم انفتح الباب ببطء كاشفًا عن وجه نحيل ضامر تلتمع عيناه كالذئب.. وازداد توترًا حين رآنا وتراجع للوراء بينما المفتش يسأله عن آخر مرة رأى فيها خطيبته (إنريكه ستورلي)..

وفي هذه اللحظة صاح د. (رفعت) مشيرًا إلى الحائط.. رأينا صورة فوتوغرافية لفتاة معلقة هناك، وقد غرست فيها مدية ثبتتها للجدار.. كاد د. (رفعت) ينتزعها ليفحصها.. لكن صيحة تحذير خشنة من المفتش جعلته يتوقف..

وبمنديل لفه حول كفه انتزع المفتش الخنجر - لم يكن مدية - من الجدار، ونظر للصورة مؤكدًا أنها صورة (إنريكه) نفسها.. كما لاحظ أن الخنجر ملوث بالدماء ما بين نصله ومقبضه.. وكان هذا أكثر من كاف..

لهذا - حين طلبوا منه أن يتبعهم - لم يجادل ولم يتهرب أو ينكر شيئًا.. فقط

ارتدى ثيابه ومعطفه في صمت بينما مساعد المفتش يتلو عليه حقوقه..

لاحظ د. (رفعت) أن الفتى غير مستقر نفسيًا ويبدو كالمصدومين.. كما أكد أنه لم ير غباء قاتل بلغ هذا الحد المريع.. لماذا يحتفظ بالخنجر في حجرته؟ لماذا لم يتخلص منه؟.. لماذا شوه صورة الفتاة؟...

قال د. (رايتمان) إن الفتى أراد أن يعتقل.. إما لأن ضميره يطلب القصاص، وإما هو يحاول حماية شخص ما من تهمة القتل..

لكن المفتش (شبيرت) لم يعبأ بآرائنا على أساس أنها آراء هواة، وأكد أنه قادر على انتزاع الحقيقة.

لكنه - كريمًا - دعانا لفحص الفتى بدقة في المخفر، وقد أزمعنا أن نفعل ذلك دون إبطاء..

❋ ❋ ❋



وفي هذه اللحظة صاح د. (رفعت) مشيراً إلى الحائط .. رأيت صورة فوتوغرافية لفتاة معلقة هناك . وقد غرست فيها مدية ثبتتها للجدار ..

قصيدة وجدوها بين أوراق المرحوم (بيتر شمارت):

هل حقًا تعرف الكثير عن أي شيء؟

هل تعرف أقل القليل عن أي شيء؟

ماذا تعرف عني؟

ماذا أعرف عنك؟

هل حقًا أنا هو أنا.. وأنت هو أنت؟..

أنت لا تعرف عني سوى صوتي، لون عيني، مشيتي..

والآراء التي أزعم أنها آرائي...

وأنا لا أعرف عنك سوى أنك صديقي..

فهل أنت حقًا صديقي؟

* * *

تعليق لـ د.(رايتمان):

إن هذا الفتى ليعاني من حالة (بارانويا) كلاسيكية، فهو قد فقد الثقة فيمن حوله وفقد الثقة في نفسه..

إن الآخرين يثيرون هلعه، ويشعرونه بأنهم ليسوا ودودين ظرفاء إلى الحد الذي يتظاهرون به..

إنني لن أندهش لحظة واحدة لكون هذا الفتى قد انتحر.. لكنني أسائل نفسي عما إذا لم يكن على شيء من الصواب في اعتقاده.. إن هذا الفتى قد رأى ما يدفعه إلى هذا الخلط.. أشعر بهذا.. بل أنا واثق منه.. وإن الأيام القادمة سوف....

* * *

محضر الشرطة الخاص بالفتى (هاينز شمارت) - ٢٥ سنة:

س - ما هي مهنتك الحالية؟

ج - رسام إعلانات.. أعمل بالقطعة مع بعض المجلات.

س - ما هي علاقتك بـ (إنريكه ستورلي)..؟

ج - كانت خطيبتي..

س - لماذا تقول كانت؟

ج - لأنها لم تعد كذلك!

س - هل حدثت بينكما مشادة؟ ومتي؟

ج - لم يحدث...

س - إذن لماذا انتهت العلاقة؟

ج - يمكنك أن تسألها..!

س - متى قابلتها آخر مرة؟

ج - منذ شهور..
س - وأين كنت ليلة الحادث؟
ج - كنت في حجرتي بداري..
س - ماذا كنت تفعل؟
ج - لا شيء.. قضيت وقتي بين النوم والشرود.
س - إذن ما هي حجة غيابك؟ من شهودك؟
ج - لم يرني أحد أغادر الدار.. ألم تسألوهم؟
س - هذا ليس دليلًا على شيء.. هناك النافذة دائمًا كما تعلم..
ج - لم أترك آثارًا على الجليد بالتأكيد.. فهل فحصتم ذلك الموضع؟

س - إنك لن تجد صعوبة في إزالة آثار كهذه.. وعلى كل حال نحن لسنا بانتظار تعليماتك، نحن من نمسك بزمام الأسئلة هنا.. والسؤال هو: ما تفسيرك لما وجدناه في حجرتك؟.. الصورة والخنجر...

ج- إن هذا التصرف لا يدل على شيء.. قصص الحب الفاشلة تنتهى دومًا بتمزيق صورة أو حرقها.. ولو سألتم عالم نفس لأكد لكم ذلك، ولأكد لكم كذلك أنني لو كنت قتلتها لكان هذا كافيًا لإفراغ شحنة العنف عندي، وبالتالي فلا حاجة عندي لتمزيق صورتها وإثارة الشكوك حول ذاتي برغم أنني أول من سيتم استجوابه...

س - توجد آثار دماء على مقبض الخنجر..

ج - وهل أثبتم أن الدماء دماء الفتاة؟ لا أظن..

س - أنت تعرف أن هذا متعذر الآن.. لكن الدماء هي الدماء ولابد من أن تفسر لنا وجودها..

ج - لقد حاولت الانتحار بقطع شرايين معصمي..

س - منذ متى؟

ج - منذ أسابيع ثلاثة...

س - وهل قام الطبيب بإنقاذك؟

ج - كلا.. قمت بربط معصمي بنفسي.. لم يكن الجرح بالغًا..

(وكشف لنا المتهم عن معصمه الأيسر ليرينا ضمادة موضوعة هناك وكانت مختفية تحت سوار كمه..)

س - ولماذا عدلت عن الانتحار؟

ج - لا أظنك تلومني على هذا.. ربما خطر لي ما خطر لـ (هاملت) حين خاف الأحلام التي قد تتراءى له إذا ما نام...

س - هل تتعاطى أي نوع من المخدرات؟

ج - لا..

س - ماذا تعرف عن وفاة أخيك (بيتر)؟

ج - يا له من سؤال!.. أنت لن تتهمني بقتله طبعًا..

س - لو فرضنا جدلًا أنه انتحر.. ألا ترى أن حالات الانتحار قد صارت أكثر من اللازم في بيتكم؟

ج - لكل منا أسبابه للأسف.. أعتقد أنكم تعرفون أنه كان يعالج نفسيًا منذ فترة..

س - وماذا عن قصائده؟

ج - قصائده؟.. إن (بيتر) لم يكتب الشعر في حياته..

س - هل كنتما غارقين في حب (إنريكه) أنت و (بيتر)؟

ج - أعرف خلجات عواطفي فقط، ولا أعرف خلجات عواطف أخي.. لربما أحبها ولربما لم يفعل..

س - هل كان هذا هو سبب انتحاره؟

ج- يمكنكم سؤال أخي...

وقد انتهى التحقيق، وقمنا باحتجاز المتهم مع السماح للبروفسير (شوندر) وضيوفه بفحصه كما أرادوا وسنقوم بإرفاق تقريرهم مع أوراق التحقيق.

❋ ❋ ❋

ملاحظات دوّنها مساعد الشرطة (شنايدر):

قمت بفحص محتويات غرفة القتيلة (إنريكه ستورلي)، وكانت الدماء تغرق المكان لكننا نجحنا في استنقاذ بعض الأوراق الخاصة والمجلات، وكانت الأوراق عبارة عن مراسلات بينها وبين (هاينز شمارت)، وصيغة الخطابات ودية إلى حد كبير لا تحوي أي دليل على سوء الفهم، وثمة صورتان لها مع نفس الفتى.

أما المجلات فكانت كما يلى:

١ - مجلة مصورة للأطفال.

٢ - مجلة (جيجنفارت) الخاصة بالشباب.

٣ - مجلة نسائية (فرويلاين).

بالإضافة إلى عشرين شريطًا من شرائط (روك آند رول) لفرق (الهو) و(رولنج ستونز).

* * *

عودة إلى السرد التقليدي للأحداث

مع د. (رفعت إسماعيل)

- ١ -

تحية يا رفاق...

مضيفكم (رفعت إسماعيل) يعود لكم من جديد ليثرثر بالأسلوب التقليدي المعتاد حاكيًا لكم ما مر به من أحداث في هذه التجربة المروعة...

قدمت لكم في الصفحات الماضية سيلًا من قصاصات الصحف والمقالات

والصور الشخصية والتقارير وتحقيقات الشرطة..

وتركت لكم أن تستنتجوا منها ما تحبون دون تدخل مني بأي شكل، لكني أشعر - في هذه اللحظة بالذات - أنني أرغب في الكلام.. في الثرثرة.

إن الصفحات الماضية جعلتني أشعر بما يحسه العداء الكسيح أو المطرب الأخرس أو الملاكم الأكتع أو الرسام الضرير.. فلم لا أكف عن استعراض العضلات هذا الشبيه بلزوميات (أبي العلاء المعري)؟

.. لقد كان الشعراء يكتفون بتماثل آخر حرف في كل بيت شعر (يسمونه حرف الروي) حتى جاء (أبو العلاء المعري) فألزم نفسه بتماثل آخر ثلاثة حروف، وهو

شيء لم يضطره إليه أحد.. هو أحس بضرورة أن يزيد عدد الأصفاد حول قدميه ليظهر براعته أكثر ويستعرض عضلاته أكثر...

وأنا لست (أبا العلاء المعري)...

لهذا - اسمحوا لي - سأنطلق كعبد بلا أصفاد فوق الصفحات التالية....

* * *

لقد ألممتم - في الصفحات الماضية - بجوانب اللغز الذي قلما يحدث في حياة قرية سويسرية هادئة مثل (موندهاوزه).. عرفتم د. (هوفمايشتر) و (هاينز شمارت) والبروفسير (شوندر).. وعرفتم علامات الاستفهام التي أحاطت بالقصة...

لكن مفتش الشرطة الأحمق (شبيرت) احتفظ بغروره فلم يشرك معه أحدًا في تلك المعلومات التي جمعها، ولولا هذا لاستطاع د. (هوفمايشتر) أن يفند أكثر ما قاله (هاينز) في اعترافه.. ومنه - مثلًا - أنه حاول الانتحار منذ ثلاثة أسابيع..

لقد قام د. (هوفمايشتر) بفحص الفتى منذ فترة قريبة جدًا، وكانت نتيجة الفحص جازمة: إن معصمي الفتى على ما يرام، ولم توجد بهما أية جروح....

ولقد كذب الفتى علينا - حين فحصناه في خلوة - إذ زعم أن الضمادة حول معصمه هي رباط ضاغط وضعه لألم أحس به في هذا الموضع، ولم يكن المفتش معنا لينفي ذلك.

وحين انتزع د. (هوفمايشتر) الضمادة لم نر شيئًا غير عادي هناك ولا حتى ندبة صغيرة.. لكن المفتش لم يحضر فحصنا ولم يكلف خاطره بسؤالنا عن رأينا، بل اكتفى بأخذ التقرير الذي كتبه د. (رايتمان) ووضعه في درج مكتبه دون تعليق....

على كل حال كان يؤمن - مثلنا - بأن الفتى كاذب، خاصة وقد تعرف رجاله الخنجر وعرفوا أنه تم شراؤه من متجر (شلوندرف) بسعر عشرة فرنكات يوم الحادث بالضبط.. أي أن الخنجر لم يكن موجودًا عند الفتى منذ ثلاثة أسابيع ليقطع شرايينه.

الغريب هنا أيضًا أن الفتى اشترى سبعة خناجر من ذات المتجر، وزعم للبائع أن

أصدقاء كثيرين له مولعون بنوع الصلب الجيد الذي صنع منه هذا الخنجر...

فأين ذهبت الخناجر الستة الأخرى؟

الأمر الثاني الذي لم يصارحنا به المفتش هو ما ذكره الفتى بثقة عن أن أخاه (بيتر) لم يكتب الشعر في حياته..

إن القرية كلها تعرف هواية (بيتر) للشعر - الرديء في الواقع - وتعتبره شاعرها المعتوه.. فكيف لا يعرف (هاينز) هذه الحقيقة عن أخيه؟

لقد أحس المفتش أن الفتى لا يعرف حقيقة أن (بيتر) يكتب الشعر.. معنى هذا أنه لا يعرف (بيتر) حقًا...

بعبارة أخرى.. إما أن (هاينز) أصيب بفقدان ذاكرة جزئي...

وإما أن هذا الفتى ليس هو (هاينز)....!

❋ ❋ ❋

أكاد أموت مللًا!

كئيبة جدًا فكرة السجن الجليدي داخل قرية تعزلها الثلوج عن العالم الخارجي، السجن الأبيض البارد ينسيك كل شيء عن الطرقات والشوارع الواسعة التي تتسابق فيها السيارات.. تشعر باختناق كلما نظرت إلى السماء وتمنيت لو فردت جناحين تحلق بهما بعيدًا.. بعيدًا.. نحو بلادك الدافئة.. تتمنى أن ترى الطين.. الطين الأسمر الجميل بدلًا من هذه المادة البيضاء الباردة التي زحفت على روحك حتى جمدتها بين ضلوعك..

لقد عشت تجربة القرية التي عزلها الجليد في تلك القرية الرومانية التي واجهت فيها المذءوبين.. ماذا كان اسمها؟.. آه.. (كرايوفسكا) على ما أظن..

لكن سجنى الجليدي لم يطل وقتها.. ثم إن الأحداث العاصفة التي حدثت هناك لم تدع لي مجالًا للشعور بالوحشة..

أما هنا.. فحدث بلا حرج عن شعوري بالإحباط والاختناق وأنا أعد الأيام بانتظار ذوبان الجليد كي أعود إلى (بازل) فـ (جنيف) فـ (مصر) دون إبطاء.. صحيح أنني في (سويسرا) جنة الله في الأرض..

لكن الحقيقة التي لا يغفلها أحد هي أنني لم أعد قادرًا على الاستمتاع بأي وضع يبقيني بعيدًا عن غرفة نومي ووسادتي.....

كانت تسليتي الوحيدة في سجني هذا هي الخروج مع البروفسير (شوندر) ود. (هوفمايشتر) وذلك السمج الذي لا أدري سر بقائه حيًا د. (هانز رايتمان)..، وكنا نذهب في زيارات إلى ديار هؤلاء المراهقين والشبان الذين بدت عليهم أمارات الداء المريب الذي تحدث عنه د. (هوفمايشتر)..

لقد بلغ عددهم عشرة...

والقصة دائمًا هي: العزلة والعصبية والبعد عن المجتمع الخارجي مع تحول ملحوظ، و - بالطبع - الجزء الدائري العاري من الشعر في مؤخرة الرأس والذي يحرصون جميعًا على مداراته بقلنسوة صوفية..

ويلاحظ الأهل دومًا أن الفتى تغير إلى حد غير عادي.. بل وأنه ينسى الكثير من الأشياء التي تشكل جوانب جوهرية جدًا من حياته..

إن هذا لغريب حقًا...

* * *

أمضي الوقت في تعلم اللغة الألمانية محاولًا إضافتها إلى مجموعة اللغات التي أملك (الحد الأدنى من الأمان اللغوي) لها.. ومنها الفرنسية واليونانية.. لكن الحقيقة هي أنني شخت حقًا.. وكلما دخل عقلي لفظ أو تعبير جديد تسرب من عقلي لفظ يوناني أو فرنسي مماثل... كأن تجويف مخي محدود الحجم لا يسمح سوى لكمّ

معين بالدخول إليه.. وأي معلومة جديدة تقابلها خسارة لمعلومة قديمة.. إن هذا ينافي المنطق لكنه حدث!..

أرجو ألا يأتي اليوم الذي تطرد فيه اللغة الألمانية كل مصطلحات العربية من ذهني المكدود هذا..!

* * *

ومرت أيام...

ولم يبد في الأفق ما يبشر بقرب انتهاء الحصار، وبرغم أن البلدية هنا أكدت مرارًا أن الحصار لن يطول أكثر من أسبوع، كانت للطبيعة - كالعادة - الكلمة الأعلى.. وعرفنا أن كاسحات الجليد تعمل كلها دون انقطاع عند أطراف (بازل)..

على أن العتاد والمؤن كانت تصلنا بانتظام، كما كانت مفاجأة سارة - لقارئي الألمانية - حين وصلت الصحف والمجلات المتأخرة، وتم إرسال أربعة صناديق كبيرة ملأى بالخطابات إلى (بازل) ليتم توزيعها من هناك..

وكنت - طوال هذه الفترة - مقيما في دار بروفسير (شوندر) حيث نشأ مع أبويه، وقد خصص لي حجرة أنا وذلك السخيف (رايتمان).. أما سكرتيرته (مارتا) فكانت تبيت مع الأم في حجرة واحدة.. وأقام الأب مع ابنه (شوندر) في حجرة أخرى...

كان البيت مشيدًا أكثره من الأخشاب، على غرار بيوت الفلاحين في الجبال.. وكان دافئًا من الداخل إلى حد لا يصدق

حتى أنك لتجد نفسك سابحًا في بركة ماء أحدثها الجليد المتراكم على كتفيك وأرنبة أنفك وحاجبيك بمجرد أن تخطو إلى داخل البيت المريح النظيف إلى درجة غير عادية.

وفي الفراش ترقد تحت غطاء من الفراء تتأمل العروق الخشبية في السقف، أو تستمع إلى المذياع محاولًا فهم حرف واحد مما يقال، أو ترسم الخطط للتودد إلى (مارتا) الحسناء غدًا، أو تحاول تعلم المزيد من الألمانية حتى يأتي النوم فلا تدري كيف...

وغدًا يوم آخر حتمًا...

الحق أقول لكم: لم أكن أهتم لحظة بهذه الأحداث الجارية بالقرية.. فمشاكل الشباب

السويسري هي آخر ما يعنيني أنا المليء بالمخاوف على وطني وعلى أهلي وعلى أصدقائي.. والغارق في الأحزان الخاصة بخصوص أمي وخصوصي..

هل سمع أحد عن مشكلة للشباب السويسري؟! لقد حلت هذه الشعوب مشاكلها منذ أعوام فلم تبق أمامها مشاكل سوى قضية الانتحار وعبثية الوجود..

إنهم مترفون إلى حد يحرمهم من شفقتي إلى الأبد...

ونظرت إلى يميني وأنا راقد في الفراش.. بغلٍ أتأمل الجسد الضخم لـ د. (رايتمان) متدثرًا في أغطيته محاولا أن ينام برغم ضوء (الأباجورة) القادم من ناحيتي....

لقد كان تباين مواعيد نومنا سبب خلافات لا تنتهي بيني وبينه بالإضافة إلى ثقل ظله الطبيعي، وغروره، وحذلقته..

إنه من نوع الأرواح المغلقة التي لا تستطيع الوصول إليها مهما حاولت من ود أو رقة أو مجاملة..

أذكر أنه لامني مرة على استخدام كلمة (سويسرا) عند الحديث عن وطنه.. فسألته عن السبب في حنق..

- يا سلام!.. وماذا أسميها إذن؟.

- سمها (هلفتيا).. (هلفتيا) كما يناديها أبناؤها.. أنتم تخترعون الأسماء بلا أساس وتعتبرون أنفسكم عباقرة.

قلت له وقد صعد الدم إلى رأسي..

- هذا شيء رائع.. وأعدك بذلك بشدة إذا كففتم أنتم عن تسمية (مصر) بـ (إجيبتن) برغم أن كل أبنائها يسمونها (مصر)، وإذا كففتم عن تسمية (سوومي) باسم (فنلندا)**!**

كانت هذه هي خاتمة المحادثة لكنها تركت في نفسه كراهية شديدة لي حتى أنني أدركت أن أفضل خدمة أؤديها له هي أن أموت...

الأدهى هو أنني لا أعرف عمله بالضبط.. فقد كان معنا في المؤتمر لكنه لم يقدم أبحاثًا ولم يناقش ولم يعطني أي إيحاء بأنه طبيب.. إن أي سباك يحترم نفسه كان سيقدم آراء مثمرة أكثر مما قدمه هذا الـ (رايتمان)..

لكن البروفسير (شوندر) يحبه ويصحبه معه في كل مكان.. بل وإنه يرغمني على مقاسمته الحجرة..

إن الأمر لم ينته هنا.. بل إن (رايتمان) هستيري يعاني الخوف من المرض.. لهذا يظهر الاشمئزاز من جواربي بطريقة مهينة للغاية ويخفي منشفته بعيدًا عني كأني أجرؤ على استعمالها.. ولا يكف عن الارتجاف كلما عطست أمامه.. بل إنه حرم علي التدخين في الغرفة تحريمًا باتًا.. هذا من حقه ولكن أين أدخن إذن؟!..

كانت هذه الخواطر تجوب ذهني وأنا أرمق جسده النائم في كراهية.. أذنيه الكبيرتين وأنفه المعقوف الذي يذكرني

بصورة مرضى الزهري في كتاب (هتشنسون)..
وشعره.. شعره الأشقر الشبيه بـ.... غريب هذا!.. هناك بقعة خالية من الشعر في مؤخرة رأسه.. بقعة مستديرة تمامًا أراها بوضوح حيث أدار وجهه للحائط بعيدًا عني..
لا أذكر أنه كان يملك أجزاء صلعاء في رأسه.. وفي اليومين الماضيين كان يرتدي قلنسوة صوفية طيلة اليوم فلم أستطع رؤية شعره..
متى وكيف ظهرت هذه البقعة؟
هذا غريب لكنه لن يحرمني من نوم هادئ حتى الصباح.. لن أثير ضجة بسبب

بقعة صغيرة صلعاء بينما رأسي كله أصلع كبطن ضفدعة...

❋ ❋ ❋



هناك بقعة خالية من الشعر في مؤخرة رأسه .. بقعة مستديرة تماما أرها بوضوح حيث أدار وجهه للحائط بعيدًا عني ..

وكيف كان لي أن أعرف أنه في تلك الليلة بينما أنا غاف - كمومياء (حتب حرس) - ناعم البال، كان هناك شيء مروع يجري عند أطراف القرية!..

بالتحديد في الغابة المظلمة الباردة ما بين أشجار (اللارك).؟

كانت (ساندي) قد ضربت موعدًا لـ (كارل) هناك..

كلاهما شاب جميل مليء بالحيوية.. الغد ينتظره والآمال تجري في دمه ويحب الآخر إلى حد الوله..

المشكلة التي تضايق (كارل) هي التغير الذي طرأ على (ساندي).. هو يعلم جيدًا أن المرأة لها مزاج شبيه بالبحر.. تارة يتقلب وتارة يهدأ دونما سبب، ويعلم أن المرأة

تتألم من أشياء لا يجد الرجل فيها أي أذى.. إن المرأة تجد في نسيان عيد ميلادها ما يجده الرجل في صفعة على قفاه.. بل هي تعتبر هذا النسيان إهانة أشد وطأة..

لكن (ساندي) كانت تتحسن وتعود لصوابها في كل مرة..

دائمًا تعود لصوابها إلا في هذه المرة...

لماذا تصر على النأي بعيدًا عنه؟ ولماذا تفر منه؟.. ولماذا تعقص الشعر عند مؤخرة رأسها بهذا الأسلوب العجيب؟

ولماذا تفقد وزنها باستمرار؟

عاش فترة طويلة أشبه شيء بقطعة خشب عائمة فوق بحر متقلب.. الأمل فالقنوط.. الحبور فالوجد.. انتظار الغد فالفزع منه...

إنهن يجدن هذه التسلية تمامًا.. ثم جاءت تدعوه إلى لقائها في الغابة هذا المساء..

كاد يجن فرحًا.. تعطر..! ارتدى أكثر ثيابه أناقة (وسُمكًا كذلك) ثم هرع إلى هناك فوق الثلوج متسائلًا في سره عن السبب الذي يدعوها لاختيار هذا المكان البارد الموحش للقاء..

نعم هي تريد خلوة.. ولكن الغابة.. في هذه الساعة.. إن في هذا شيئًا من المبالغة..

كانت هناك بانتظاره...

البخار يتصاعد من فيها فيتجمد على خصلات شعرها وشفتها العليا وفي عينيها رأى مستقبلًا رائعًا إلى حد أنه مفزع..

وهنا سمع اسمه.. اسمه يتردد بصوت خفيض أقرب إلى الفحيح من عدة حناجر..

- كـ...ـا.. ر..ل..!

نظر مجفلًا فرأى في الظلام حوالي عشرة أشخاص يقفون في شبه دائرة حولهما.. وكانت (ساندي) ترمقه طيلة الوقت وفي عينيها دعوة صامتة له كي يشرب..

يشرب من الزجاجة الصغيرة التي أخرجتها من ثيابها وقربتها من فيه وهي تهمس - دون أن تغمض عينيها لحظة - في أذنه:

- هلم يا (كارل).. كن واحدًا منا.. نحن الغرباء.

ارتجفت شفتاه ولاشعوريًا تراجع للوراء خطوة..

- أي غرباء؟

- أبناء النيزك!.

وبدأ الفحيح يتعالى من الحناجر كنوع من الهتاف المنظم.. شيئًا فشيئًا يتعالى بالأسلوب الذي يسميه الموسيقيون (كريشندو):

- (كارل)!.. (كارل)..!

- ماذا تعنون؟.. هل جننتم جميعًا؟

- (كارل)!... (كارل)..!

واصل التراجع للوراء وهو يردد دون كلل:

- هل جننتم؟

- (كارل)... (كارل)..!

- أنت يا (فرانتز)!.. وأنت يا (دانييل)... ماذا دهاكم؟

- (كارل)!.. (كارل)..!

وازداد الأمر سوءًا حين تقدمت إحدى الفتيات منه.. ناعسة هائمة شرعت تتراقص حوله ببطء رائحة غادية.. كأنها رقصة إغريقية قديمة أو شيء من هذا القبيل.

شعر بإرادته تتخلى عنه وجفونه تزداد ثقلًا..

كلا.. هذا لن يكون.. إن هؤلاء الأوغاد....

تراجع للوراء أكثر فأكثر..

لكنه نسي أن الجليد زلق.. وأن سطحه غير منتظم.. وأن حذاءه غير معد لذلك.. و.....

❋ ❋ ❋

كذلك كيف كان لي أن أعرف - حيث نمت كرجل من (روديسيا) لدغته مستعمرة من ذباب (تسي تسي) - أن مساعد الشرطة (شنايدر) صحا على جلبة قادمة من الزنزانة التي حبس فيها الفتى (هاينز) والتي تقع على بعد ثلاثة أمتار من الغرفة التي نام فيها المساعد؟؟..

نهض هذا الأخير ليري سر هذه الضوضاء عازمًا على تهشيم رأس الفتى.. لكن ما رآه جعله يعدل عن هذا تمامًا...

لقد وجد الفتى متشبثًا بقضبان الزنزانة وقد تسلق عليها إلى أعلى مستوى ممكن حتى كاد يلمس السقف..

وكان ينظر لأعلى في هيام وافتتان مروعين، ومن فمه الفاغر تخرج عبارات

معينة بلغة غير معروفة يكررها بلا انقطاع..
والحق يقال.. كان المشهد مرعبًا ورهيبًا إلى درجة أن المساعد لم يجرؤ على اتخاذ رد فعل إيجابي باللوم أو التهديد أو التساؤل.. لا شيء على الإطلاق.. بل هو لم يتلفظ بحرف واحد..
فقط تراجع - مرتجفًا - إلى غرفته وأغلق بابها بإحكام...
إن ما رآه هو نوع من المس الشيطاني.. لا يوجد تفسير آخر لهذا الذي يراه.. فلتمر هذه الليلة بأي شكل فلا يوجد حل آخر..
جلس يتصفح مجلات (جيجنفارت) التي وجدها عند الفتاة القتيلة (إنريكه) ليزجي الساعات الباقية على الفجر.. وبعصبية

قرب المدفأة الكهربية من قدميه المتجمدتين..
إن هذه المجلات الشبابية كلام فارغ - فكر في حنق - هي أشبه بالساندوتشات الثقافية السريعة التي ترضى كل الأذواق، وهو كان معتادًا على الوجبات الثقافية الدسمة ولا يهوى أسلوب (التيك أواي) هذا.. ثم إن حرص هذه المجلات على إغراء الجميع جعلها خليطًا متنافرًا من السياسة والحب والرياضة والسينما والجريمة.. كأنها طبق من اللحم والعسل و(الكيتشب) والبصل..
وهنا لاحظ - في ركن (طبيبك) - شكوى أحد القراء من (موندهاوزه) يتحدث عن غرابة أطوار صديقه.. وفي ذات الصفحة

شكوى لقارئة تتحدث عن جزء عار من الشعر في رأس أختها.. أمن هذا الوقت المبكر إذن؟..

يا لها من مصادفة!.. إن المفتش (شبيرت) سيكون فخورًا به حين يرى هذه الصفحة.. انتزعها ووضعها على المكتب.. ثم عاد يطالع أعداد المجلة في اهتمام زائد بحثًا عن صدف أخرى..

وكان أن وجد قصيدة (بيتر شمارت) السخيفة عن النيزك، ثم وجد عددًا تشكو فيه (إنريكه) إلى محررة باب (جراح القلوب) التغير الذي طرأ على خطيبها ونفوره منها بعد وفاة أخيه..

ياله من صيد ثمين!.. إن مجلة (جيجنفارت) مجلة تافهة حقًا لكنها تلقى

رواجًا لا بأس به بين شباب القرية، وقد قدمت له معلومات لا بأس بها أنسته الرعب الذي عاشه منذ لحظات مع هذا الذئب المسعور (هاينز)..

* * *

وكيف لي أن أعرف - وأنا نائم كسلحفاة في (ديسمبر) - أن د. (رايتمان) فتح عينيه.. أدار رأسه إلى اليسار وشرع يتأملني في ظلام الحجرة بضع دقائق مصغيًا لصوت شخيري وحشرجة صدري الذي سد التبغ شعبه....

وكيف لي أن أعرف أنه كان يفكر في شيء ما..

شيء يتعلق بي؟؟......

* * *

- ٢ -

وجدوا جثة (كارل) الشاب البالغ من العمر تسعة عشر عامًا.. وجدوها مغمورة في الثلوج خارج الغابة..

كانت هناك عدة طعنات في جسده، ومن المؤكد أنه صارع قاتليه بعنف.. لكن لم توجد أية آثار أقدام حول الجثة سوى آثاره هو..

أخبرني البروفسير (شوندر) بهذا صباحًا على مائدة الإفطار.. كما أخبرني أن المفتش (شبيرت) يكاد يجن من كثرة الحوادث الغامضة التي تجتاح قريته الهادئة..

لم يكن هناك ما يدل على الجاني، لا أعداء للفتى.. لا علاقات غامضة.. أما أهله فيؤكدون على أنه معتاد على العودة للدار في ساعة متأخرة فلم يساورهم القلق بشأنه إلى أن جاء الصباح وأدركوا أنه ليس في فراشه....

كان لهذا معنى واحد..

لربما كان (هاينز) بريئًا من دم (إنريكه).. ها هوذا حادث مشابه يقع، بينما الفتى رهين محبسه، ثم إن أحدًا لم يستطع بعد إثبات أن الدم على الخنجر هو دم الفتاة.. ودون معمل جنائي يستحيل البحث عن بصمات على الخنجر أو نافذة الفتاة..

لكن المفتش لم يطلق سراح الفتى..

هو لن يترك شيئًا للمصادفة...

* * *



وجدوا جثة (كارل) الشاب البالغ من العمر تسعة عشر عاماً ..
وجدوها مغمورة في الثلوج خارج الغابة ..

عند الظهيرة وصل المفتش (شبيرت) مهمومًا إلى دار البروفسير.. كأن كتفيه تزنان أطنانًا.. وكان يحمل مجموعة مجلات تحت إبطه..

جلس أمام المدفأة عشر دقائق صامتًا يدخن ويجرع جرعات كبيرة من المشروب الساخن الذي قدمته له الأم..

وجلسنا حوله أنا والبروفسير و (رايتمان) ود. (هوفمايشتر) و(مارتا) السكرتيرة حائرين لا ندري حقًا ما نفعل أو نقول.. فقط نتبادل النظرات ونفرك أيدينا..

بعد دقائق أخرى غمغم الرجل وهو يتأمل لهيب المدفأة:

- أنا بحاجة إليكم...

لم يرد أحدنا.. ظللنا صامتين نترقب رد فعله..
قال وهو يتأمل الكوب الذي أمسكه بين راحتيه المفتوحتين:
- إن هذا الذي يحدث ليفوق تحملي وتوقعاتي.
- هون عليك يا (هيرمان)..
قالها البروفسير وهو يستلقي في مقعده..
أخرج المفتش علبة سجائره فتناول لفافة تبغ منها أشعلها، وكذا أشعلت أنا لفافة أخرى.. ومد (رايتمان) يده فأخذ واحدة من علبة المفتش وأشعلها وجلس يصغي..
- في البدء كانت جريمة مقتل - أو انتحار - الفتى (بيتر) وقد بدا لنا الأمر عاديًا.. ثم جاءت جريمة مقتل (إنريكه).. وبدا لي أن

الحل واضح: غيرة مفرطة من (هاينز) جعلته يقتل أخاه وحبيبته.. لكن التحقيق مع (هاينز) لم يفض إلى شيء.. فيما عدا انطباعًا غريبًا سيطر علي طيلة التحقيق.. إن هذا الفتى يكذب طيلة الوقت.. بل هو لا يعرف الكثير عن أخيه، فقد قال إن (بيتر) لا يقرض الشعر وكل القرية تعرف أن هذا غير صحيح.. وقال إنه - (هاينز) - حاول الانتحار منذ ثلاثة أسابيع برغم أن أحدًا لم ير خدشًا في معصمه...

وتوقف لحظة ليطفئ رماد السيجارة.. وحك عنقه في إنهاك:

- ثم جاء حادث هذا الفتى (كارل) ليدمر أدلتنا كلها لأنه مات في نفس الظروف بينما

(هاينز) في قبضتنا.. وهذا يعني أن هدفنا ما زال حرًا طليقًا...

تساءل (رايتمان) في حذر:

- تعني أن هناك سفاحًا يمارس نشاطه في القرية؟

- بل ما هو أسوأ....

ودون أن يشعر أشعل لفافة تبغ أخرى واستطرد:

- أنتم تعلمون أننا مصب المعلومات إلى حد كبير.. وقد علمت شيئًا ربما كان ذا أهمية.. لا أدري بالضبط.. لقد وجد حارس المقبرة آثار عبث في قبر الفتى (بيتر شمارت).. لم توجد آثار أقدام ولا شيء.. حتى أن الانطباع الذي كونه هو أن شيئًا بالمقبرة كان يحاول الخروج منها!.

- رباه!.

صاحت (مارتا) في توتر.. أما د. (هوفمايشتر) فقال في عصبية:

- أنا لم أخطئ التشخيص.. إذا ظننتم أنها كانت حالة (تيبس عضلات) دفن صاحبها حيًا فأنتم مخطئون.

نظر له المفتش في دهشة ولسان حاله يقول: أي معتوه هذا؟

ثم قال وهو يضغط على كلماته:

- هل اتهمك أحد بشيء؟

- حسبت في هذا نوعًا من التلميح..

- لسنا، في إحدى قصص (إدجار آلان بو)[4] فاهدأ قليلًا..

قلت أنا محاولًا إزالة مناخ الخزعبلات هذا:

- لسنا كذلك بصدد عملية التحول إلى مصاص دماء.. فالموتى لا يغادرون قبورهم إلا يوم الحساب..

ساد الصمت هنيهة ثم قال البروفسير بتؤدة بعد أن رشف رشفة ماء:

- هلا أكملت كلامك يا (هيرمان)؟.

قال المفتش وهو يقلب صفحات مجلة من التي كان يحملها:

- أخيرًا بدأنا نطالع صفحات هذه المجلة (جيجنفارت) التي كانت لدى القتيلة (إنريكه) ووجدنا فيها أشياء هامة للغاية منها قصيدة للفتى (بيتر) والمزيد من شكوى تساقط الشعر الدائري وخطاب (إنريكه) إلى المحررة تشكو تغير شخصية

حبيبها الذي هو (هاينز) طبعًا.. وهذا ليس كل شيء...

وفتح مجلة أخرى وأشار إلى مقال فيها:

- هذا هو العدد الأخير من المجلة وكان قد تأخر كثيرًا بسبب ظروف العاصفة، وبه آخر خطاب كتبته (إنريكه) للمحررة.. لقد تأخر إرسال الخطاب كثيرًا لذات الظروف، لكنه حين وصل للمجلة نشر فورًا، ولم تدر المحررة أن قارئتها هي الآن جثة تنتظر التشريح..

مد (رايتمان) يده إلى كوب الماء الذي بقي به بعض الماء، فجرعه ثم تساءل:

- وماذا في الخطاب؟

- أرجو أن تقرأه بنفسك على الجالسين..

ساد الصمت على حين أمسك د. (رايتمان) المجلة وشرع يقرأ بصوت مسموع خطاب (إنريكه) إلى المحررة:

- عزيزتي (مارليز):

كتبت لك منذ أيام أحكي لك قصة فتاي الذي (....................) صوت الطرقات على زجاج نافذتي..

بإخلاص: (إنريكه) - (موندهاوزه)

ما إن انتهى (رايتمان) من قراءة الخطاب حتى عم الصمت.. الصمت الثقيل ذو الدوي الشبيه - حتمًا - بالصمت الذي ساد الكون بعد أن رست فلك (نوح) فوق جبل (أرارات)..

كان البروفسير (شوندر) هو أول من تكلم.. قال:

- إن هذا.. خطير...
وهتف د. (رايتمان) وهو يطوي المجلة:
- كأن هناك تنظيمًا ما.. مجموعة من الشباب يمارسون نشاطًا غامضًا في الليل، وهم يحاولون ضم آخرين إليهم..
قلت وأنا أشعل لفافة تبغ:
- إذن.. لقد مر (كارل) بتجربة مماثلة.
نظر لي البروفسير (شوندر) للحظة مفكرًا.. ثم غمغم:
- الواقع أن هذا صحيح.. لقد لقي الفتى حتفه جوار الغابة وهذا يعني أنه كان - بشكل ما - متورطًا مع هؤلاء الأوغاد الذين لا أدري ما يمثلون بالضبط..
مرة أخرى ساد الصمت الثقيل.. الكل يبحث عن شيء يقال..

- وما رأيك أنت أيها المفتش؟
هذه كانت من (مارتا) السكرتيرة..
والتقت عيوننا علي المفتش (شبيرت) الذي تشاغل بتقليب صفحات المجلة التي كانت معه...

* * *

- لنقل إن لدينا بعض حقائق ثابتة يمكن الارتكاز عليها.. ولئن كنت على خطأ أرجو أن تصححوا لي..
- أولًا: هلكت (إنريكه) و(بيتر) وربما (كارل) لأنهم رفضوا أن يكونوا من الغرباء وبالتالي عرفوا أكثر مما ينبغي لهم أن يعرفوه.. هل هناك اعتراض؟.
- لا.. نحن نوافقك تمامًا.. استمر..

- ثانيًا: لا يمكن معرفة أفراد المجموعة لكن (هاينز) - بما لا يقبل الشك - واحد منهم..

رفعت يدي معترضًا، لكن المفتش (شبيرت) هز رأسه في نفاد صبر طالبًا مني أنٍ أنتظر.. واستطرد:

- ثالثًا: يمكن معرفتهم إلى حد ما بعمل مسح على رءوس شباب القرية.. فمن وجدناه فقد وزنه ورقعة دائرية من شعر رأسه يكون من هؤلاء.. وحين تنتهي العاصفة يمكننا مقارنة بصماتهم جميعًا بالبصمات على الخنجر.. أليس هذا ما أردت قوله يا د. (رفعت)؟.

- نعم..

- رابعًا: ما هو سر ما حدث لهؤلاء الشباب؟

قلت وأنا أحاول ألا أبدو سخيفًا:

- الاحتمال الأول هو تفشي أفكار هدامة - كأفكار الهيبيز - بين هؤلاء الشباب، ولا أرى ما يدعونا لاستبعاد تعاطي المخدرات هنا.. وهذا يجعلهم يكونون ما يشبه الجماعات الدينية المخبولة التي تملأ الولايات المتحدة. لقد ذبح (الهيبيز) ممثلة السينما (شارون تيت) لأنهم ظنوا أن السماء أمرتهم بذلك، وأرى أن هذا هو ما يجري هنا..

- وفقدان الوزن؟.. ودائرة الشعر العارية؟

- فقدان الوزن علامة دائمة من علامات تعاطي المخدرات أما دائرة الشعر العارية

فلربما كانت علامة خاصة بهم يصنعونها بأنفسهم لأنفسهم..

نظر المفتش (شبيرت) إلى من حوله فوجد نوعًا من الموافقة.. قال وهو يشعل لفافة تبغ:

- نظرية مقبولة.. وإن كانت لا تفسر ما حدث عند قبر (بيتر) وما حدث لجثة (إنريكه)..!.

- (إنريكه)؟!!

دوت الصيحة من خمسة حناجر في وقت واحد..

- وهل حدث شيء لـ (إنريكه)؟!

اهتز كتفا المفتش (أهو ضحك مكتوم أم بكاء؟) وغمغم:

- ألم أخبركم؟.. لقد اختفت الجثة مساء أمس من الحجرة التي وضعناها فيها في المخفر!

* * *

قلت في عصبية:

- وماذا في ذلك؟.. ربما كان أولئك المخبولون حريصين على استرداد جثث ضحاياهم لأغراض تتعلق بالسحر الأسود..؟ نظر لي بعينيه الزرقاوين الباردتين وتساءل:

- وكيف يمكن سرقة جثة من مخفر شرطة بهذه البساطة؟.. لقد فتحت النافذة من الداخل يا عزيزي.. وأنا أعني ما أقول

دون أدنى محاولة مسرحية لإثارة اهتمامكم..!.

ونظر إلى لفافة التبغ التي يمسكها.. وتهانف فجأة:

- إن هذا لفوق إحتماااااااالي... هي ي ي!

ودفن وجهه في يديه وشرع يهتز...

يا له من جنون!.. إن مشهد هذا المفتش المخضرم قوي الأعصاب وهو يبكي كالمراهقات كان لا يحتمل.. وشعرت بأمعائي تتلوى مع رغبة حادة في القيء..

على حين قدم البروفسير (شوندر) بعض الشراب للمفتش مرددًا..

- هلم يا (هيرمان)!.. إن هذه ليست غلطتك!

- أكاد أجن يا (فريدي)..

حقًا!.. ومن ذا الذي لا يوشك على الجنون؟

* * *

عند هذه النقطة وقف د. (هوفمايشتر) في توتر.. عيناه تلتمعان.. وقبضتاه مكورتان.. صاح واللعاب يتناثر من فيه (فوق وجهي للأسف):

- هوذا!.. لا يوجد سوى حل واحد.. إنها حالة استحواذ كاملة تلك التي نحن بصددها..

تساءل البروفسير وهو يربت على ظهر المفتش:

- استحواذ؟.. ماذا تعنيه؟

- استحواذ روحي.. إن هؤلاء الفتية ممسوسون!.. كل شيء يشير لهذا لكننا نتجاهل ذلك التفسير..

تساءل د. (رايتمان) في شيء من السخرية:

- ومن مسّهم؟.

- ألا تفهمون؟.. لقد حدث كل هذا بعد سقوط النيزك المشئوم.. الأمر واضح إذن.. ثمة كائنات لا مرئية جاءت الأرض فوق متن النيزك ثم شرعت تغزو شباب قريتنا واحدًا تلو الآخر.. وعلامة الغزو هي دائرة عارية من الشعر في مؤخرة الرأس.. ومن يعرف سرهم يقتل دون رحمة. لقد كان (بيتر شمارت) يتحدث عنهم طيلة الوقت..

يقول إنهم حولنا.. لم يصدقه أحد حتى دفع حياته ثمنًا لما عرفه!.

❋ ❋ ❋

"هلم يا (كارل).. كن واحدًا منا.. نحن الغرباء..".

❋ ❋ ❋

"هلمي يا (إنريكه).. كوني واحدة منا..".

❋ ❋ ❋

"أبناء النيزك..".

❋ ❋ ❋

استعد المفتش للانصراف.. ارتدى معطفه وقد ارتسمت مخايل السلطة والجدية على وجهه من جديد، كأنه يدعونا إلى نسيان لحظة الوهن العابرة التي مر بها منذ ثوان..

وهنا سرت معه إلى الباب الخارجي...

بدا عليه نوع من الدهشة - كما بدا على الجالسين جميعًا - من سيري معه.. فأنا وهو لا نملك مواضيع مشتركة ولسنا صديقين بكل تأكيد...

لكنني خرجت معه من الباب، وتأبطت ذراعه وهو يمشي فوق الثلج قاصدًا سيارته التي أحيطت إطاراتها بالجنازير للتمكن من السير فوق الجليد...

قلت له والبخار يتصاعد من فمي:

- أخشى أنني بدأت أوافق د. (هوفمايشتر) على كلامه!.

نظر لي في حيرة.. ضخم البنيان عريض المنكبين كجدار حي.. وتساءل:

- هذا الهراء؟

- نعم.....

وتلفت حولي.. ثم همست:

- إنني أشعر بأن هذا الوباء - أو الاستحواذ - لم يكتف بالشباب بل هو يزحف نحو الكبار..

- ماذا تعني؟.

- أعني أن هناك أشياء مريبة تحيط بـ د. (رايتمان) هناك بقعة صلعاء حديثة في مؤخرة رأسه..

- وماذا في ذلك؟.. إن الرجل في سن الصلع الوراثي العـ...

قاطعته وأنا أرمق عينيه في ثبات:

- الصلع لا يظهر بين يوم وليلة.. ثم إنني راقبت مسلكه في أثناء جلستنا.. ألم يأخذ منك لفافة تبغ ويشعلها؟.. إن (رايتمان) الذي أعرفه لا يطيق التبغ.. ألم يكمل كوب الماء الذي شرب منه البروفسير؟.. إن (رايتمان) الذي أعرفه مجنون بصحته ويستحيل أن يلمس كوبًا استعمله أحد أمامه..

- وماذا تريد قوله؟

- أريد القول إن هذا ليس (رايتمان)!!

* * *

- ٣ -

أخيرًا اقتنع المفتش بأنني لست مخبولًا.. وطلب مني أن راقب الموقف وأن أبلغه بما يستجد.. وأن..... أكون حذرًا...

وحين انصرف وقفت أرمق الثلوج في شرود.. ثم عدت إلى دار البروفسير، وبالطبع ظللت صامتًا برغم النظرات الفضولية التي أحاطت بي..

إن البروفسير - لسبب لا أدريه - يثق ثقة عمياء بـ (رايتمان) ويحترمه، وحتمًا لن يصغي لأي شيء أقوله في هذا الصدد.. وانصرف د. (هوفمايشتر) بعد دقائق

ناصحًا إيانا أن نفتح أعيننا ونكون أكثر حذرًا....

* * *

بعد الغداء جلست أدون أحداث هذه القصة لأتذكرها فيما بعد إذا ما ظللت حيًا، كنت جالسًا في غرفة المعيشة وحدي.. إن (رايتمان) في غرفتنا الآن.. وأنا لا أدري ما سأفعله حين يأتي المساء، فالمؤكد أنني لن أبيت ليلة واحدة أخرى مع هذا (الشيء)..

لو ذاب الجليد لنسيت كل شيء ورحلت إلى (بازل) كاسرًا (قلة) خلفي - لو وجدت واحدة - كي لا أعود إلى هذه القرية المشئومة..

لكني هنا.. ومن الواجب أن أتحمل ما أنا فيه.. وهنا سمعت صوت خطوات رقيقة تنساب خلفي..

رفعت رأسي فوجدت (مارتا) الحسناء سكرتيرة البروفسير تدنو مني حاملة قدحًا من (الكاكاو) قدمته لي، ثم تربعت - كالهرة - على الأريكة جواري تحسو نصيبها من قدح آخر كانت تحمله..

- فيلين دنك![5]

فهزت رأسها وشرعت تحسو (الكاكاو) من القدح وعيناها الزرقاوان مثبتتان علي...

يجب أن أقول هنا إن (مارتا) كانت بارعة الجمال.. ليس ذلك الجمال (الآري) السخيف الشبيه بالتماثيل والذي تراه في

كل الناطقات بالألمانية، لكنه جمال حي ظريف المعشر.. وأنا رجل نحيل أصلع في العقد الخامس من العمر وعندي من الحكمة ما يكفي لجعلي كلما رأيتها أردد (سبحان الله)، ثم أنسى الأمر برمته..

لكن القرصين الأزرقين كانا مسلطين على وجهي كما تسلط كشافات (الجستابو) على فدائي فرنسي ضبط متلبسًا.. حتى أنني كدت أعترف لا أدري بأي شيء بالضبط.. أعترف فحسب..

- خيرًا..؟.. هل ثمة شيء غريب في مظهري؟

قالت في هيام حقيقي وهى تتأملني:

- لم أدر من قبل كم أنت جذاب!

كدت أجن فرحًا ثم فطنت إلى أن هناك شيئًا ما على غير ما يرام...

حين ترى فتاة أنني جذاب أوقن أنها معتوهة أو تعبث بي..

- هل تحب الجليد؟...

- أحبه في عصير الليمون طبعًا..

ضحكت.. أكثر مما يحتمله القول في الواقع.. ورشفت المزيد من (الكاكاو) ثم لعقت بقاياه من على شفتيها.. وهمست:

- أنت ظريف.. أتحدث عن الجليد الحقيقي.. الثلج الأبيض في كل مكان.. البرد الذي يدغدغ أناملك وأرنبة أنفك.. الظلام.. الأشجار الصامتة التي تحيط بعاشقين لا يريان في الكون سوى بعضهما.. ألا يحرك فيك هذا شيئًا؟!.

وفي تؤدة قدمت عرضها: تريد أن نخرج معًا - أنا وهي - وحيدين إلى الغابة هذه الليلة نتناجى ونتأمل الجليد المتسربل بالظلام.. تتعانق يدانا وتتلاقي عينانا و..... هل فرغت من قدح (الكاكاو)؟.. إذن هاته وفكر في عرضي جيدًا إلى أن أغسل القدحين...

ولما نهضت لتضع القدحين في المطبخ اختلست نظرة إلى ظهرها.. ولم يفتني أن ألاحظ البقعة الخاوية من الشعر في مؤخرة رأسها.. البقعة التي لم أرها أمس... البقعة التي عرفت أنني سأجدها....

الآن فهمت......

اللعينة!... لقد بدأت الآن فقط أدرك مدى تغلغل هذا الوباء في القرية.. أولًا

(رايتمان) ثم (مارتا).. ثم أذهب أنا معها إلى الغابة كالأبله وهناك تدعوني إلى أن أصير من الغرباء.. فإما أن أقبل وأعود شخصًا آخر له رقعة صلعاء في مؤخرة رأسه.. وإما أن أرفض ويجدوا جثتي ممددة فوق الجليد غدًا..

إنها الآن في المطبخ.. فماذا أفعل؟ وكيف أتخذ قراري؟...

نهضت إلى الهاتف وأدرت رقم المخفر.. بعد ثوان سمعت صوت المفتش (شبيرت) الغليظ يتساءل عما هنالك..

هامسًا قلت:

- أنا (رفعت) أيها المفتش.. (رفعت إسماعيل).. أعتقد أن (مارتا) سكرتيرة البروفسير لم تعد هي.. لقد ظهرت العلامة

في رأسها.. والأدهى أنها تغريني للذهاب معها إلى الغابة ليلًا..

بدا الاهتمام في صوته وهو يهتف:

- لا تفوت الفرصة إذن.. اذهب!.

- لحظة.. لا أعتقد أنها تريد ذلك حبًا في شعري الجميل...

- أنا أفهم يا أحمق لكنك لا تفهم.. إنها تقدم لنا فرصة ذهبية للقبض على هؤلاء متلبسين.. سنكون هناك أنا ورجالي مسلحين بمجرد أن يحاصروك..

- إذن.....

- تظاهر بقبول العرض.. وليكن اللقاء في منتصف الليل.

- ولكن.... سأقبل العرض....

* * *

وهكذا يا رفاق ترونني أمشي مع (مارتا) إلى الغابة عند منتصف الليل..، أرتدي ثلاث طبقات من الثياب الصوفية وقلنسوة وقفازين.. وفي جيبي ينتظر مسدسي قلقًا....

كانت تتحدث في مرح وطلاقة عن أشياء رائعة لكنى لم أفقه حرفًا مما تقول..

كنت أفكر في حقيقة هذا الشيء الذي أمشي معه.. أكائن غريب حقًا أم عضو في تشكيل عصابي ما؟.. وكيف ستكون نهاية هذه القصة الدامية؟.. ترى هل صدقني المفتش؟.. ماذا يفعل (رايتمان) الآن؟.. هل علم أحد بخروجي؟...

ها هي ذي الغابة بأشجارها السامقة المكسوة بالجليد.. الظلام.. صوت أنفاسي اللاهثة....

- ها نحن أولاء قد وصلنا.

قالتها (مارتا) وهي تريح ظهرها إلى جذع شجرة.. أما أنا فدسست قرصًا من (النيتروجلسرين) تحت لساني احتياطًا للمفاجآت القادمة ووقفت أرمقها في تحفز..

- ماذا دهاك؟.. هل أنت معجب بي حقًا؟

دعينا من هذا الهراء يا فتاة وأريني لعبتك.. هأنذا فريسة طازجة بين يديك وما زلت تمثلين؟.. مشكلتي هي أنني سريع الملل.. ولا أطيق التطويل دون داع..

وهنا رأيت الظلال تقترب منا.. ظلال رجال ونساء يمشون فوق الجليد ببطء

خالقين دائرة شبه كاملة حولنا... كان عددهم يقترب من العشرين..، وسمعت صوتًا خافتًا كالفحيح من حناجرهم:

- ر.. يـ.. فـ.. ـا.. ت!.. ر.. يـ.. فـ.. ـا.. ت!



وهنا رأيت الظلال تقترب منا .. ظلال رجال ونساء يمشون فوق الجليد ببطء حالقين شبه دائرة كاملة حولنا ..

كان صوتًا هو أقرب لهتاف يتعالى ببطء.. وسمعت (مارتا) تهتف بي وقد اتسعت عيناها الزرقاوان:

- هلم يا (رفعت) كن واحدًا منا.. إن الغرباء أبناء النيزك يريدونك بينهم...

- (ريفات)!.. (ريفات)!

كان المشهد مروعًا بحق لكنه لا يخلو من سحر خاص.. ذلك السحر المميز لحفلات (الزار) في ريفنا.. الانبهار هو ما يميزه.. إنهم يقودونك إلى نوع من التنويم المغناطيسي يجعلك تقبل كل شيء..

ورأيت الفتاة إياها - ذات الشعر المنسدل على وجهها - وقد دنت مني وشرعت تدور حولي ببطء آتية بحركات راقصة ساحرة..

ولم أتبين وجهها المغطى بالشعر لكني شعرت بأنني أغوص أكثر.. أغوص....

وهنا سمعت الصوت الغليظ إياه يهتف:

- توقفوا جميعًا!

رفعت عيني في لهفة لأرى المفتش (شبيرت) وحوله ثلاثة رجال أشداء برزوا جميعًا من مكان ما في الظلام، وفي قلبي ترقرقت أنهار العرفان بالجميل.. لقد جاء في الوقت المناسب كما وعد...

نظرت نحوه في ترقب.. فسمعته يصيح وهو يقترب..

- لقد نفذنا ما اتفقنا عليه يا د. (رفعت)..

- مرحى!

- وصرت في قبضتنا!

-...............!

ونظرت إليه غير فاهم ولا مصدق، فإذا به ينظر للشباب ويقول كلمات لم أدر معناها.. كانت عيناي ثابتتين على رقعة الشعر العارية في مؤخرة رأسه!..

والتفت لي وقد أدرك أنني لاحظت.. قال في ثقة:

- هأنتذا ترى أنني لم أعد أنا.. كنت ساذجًا يا زميلي.. ساذجًا إلى حد لا يصدق!

تراجعت بظهري للوراء ببطء:

- إذن.. فأنت أيضًا؟.

- بالتأكيد! لابد لنا نحن الغرباء من التكاثر.. نحن بحاجة إلى أجساد مادية نحيا فيها.. وغدًا يعود د. (رايتمان) إلى (بازل) ليجد آخرين، وتعود أنت إلى (مصر) لتجد آخرين..

وعما قريب سيكون العصر عصرنا.. نحن الغرباء!

ازددت تراجعًا وأنا أوشك على فقدان الوعي:

- إذن النيزك هو الذي.....

- بالتأكيد.. كنا نحن جزءًا من النيزك وكان لابد أن نستمر..

ومن وراء كتفه رأيت الآخرين يدنون...

وعلمت أنني لن أستطيع الركض فوق الجليد، ولا الاستمرار في التراجع بظهري لأني - حتمًا - سأصطدم بشيء ما...

إذن...

ليس في جعبتي سوى الصراخ....

الصراخ.......

* * *

خاتمة

لم أصدق قط أنني كنت أحلم..

حين صحوت صارخًا من النوم، ووجدت د. (رايتمان) جالسًا جواري على الفراش يحاول تهدئة روعي..

أجفلت منه وقد خطر لي أنه جزء من الكابوس.. ثم هدأ بالي بعد ثوان حين عرفت أن كل هذا كابوس زارني بعد قراءة مقال جريدة (نويشاتل) عن النيزك، وبعد كل ما التهمته في العشاء من فطائر.

كنا في كوخ البروفسير بقريته لكن لا حصار ثلوج، ولا خطابات إلى مجلة (جيجنفارت).. ولا غرباء....

لقد كان كل هذا كابوسًا محكمًا خلقه عقل مريض...

* * *

وحتى حين عدت إلى (مصر) ظلت الرؤيا تطاردني.. وذلك المشهد الأخير الذي صحوت في ذروته.

وحين رأيت - باستعمال مرآتين - تلك البقعة الصلعاء في مؤخرة رأسي ظننت أنني صرت من الغرباء، وأن استيقاظي من الكابوس هي خدعة محكمة دبروها لي..

وذهبت لأحد أطباء الأمراض الجلدية النابهين، وصارحته بأمر هذه البقعة وريبتي من أمرها..

قال لي وهو يجلس على مقعده بعد أن أتم الفحص:

- إن الصلع يملأ رأسك فما الجديد هنا؟
- كان في مقدمة الرأس فقط...
- الآن صار في مؤخرته أيضًا.. إنك تتقدم في العمر يا صاحبي..

وهكذا نسيت كل شيء عن هذه القصة، وإن كنت بعد كل هذه الأعوام أسائل نفسي عما إذا كان حلمًا حقًا.. لقد كان حلمًا له صوت ورائحة وملمس ودرجة حرارة...

لكنني سعيد برغم كل شيء أن كل هذا لم يكن حقيقة..

❋ ❋ ❋

وحين عدت إلى (مصر) كان هناك كابوس آخر ينتظرني.. كابوس قادم من عوالم قصص الرعب التي لا ترحم.. وكان صاحبه هو أعظم مؤلفي الرعب قاطبة.. ولكن هذه قصة أخرى.

د. رفعت إسماعيل

القاهرة

[تمت بحمد الله]

رقم *الإيداع:* ١٦٠٦

المطبعة
العربية
الحديثة
٨ و ١٠ شارع ٤٧
المنطقة الصناعية
بالعباسية
القاهرة ت:
٢٨٢٣٧٩٢ -
٢٨٣٥٥٥٤

الفهرس

روايات مصرية للجيب

ما وراء الطبيعة

روايـــات تـحـبـس الأنـفـــاس من فرط الغموض والرعب والإثارة

أسطورة الغرباء

عندمـــا تـفـنـى الـظـلال .. عنـدمـــا تبـــدأ الشمس رحلة النهايـــة .. عندما يتوقف الزمن .. عندمـــا تعـلـن طيـــور الظـــلام إمبراطوريتهـــا .. عندمـــا تذوب الآمال و تتآكل الأحلام و يفنى الغـــد .. عندئـــذ .. يأتى الـغـــربـــاء..



د. أحمد خالد توفيق

العدد القادم : أسطورة بـــو

الثمن في مصر
وما يعادله بالدولار الامريكي في سائر الدول العربية والعالم



الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت: ٥٩٠٨٤٥٥ – ٢٨٢٥٥٥٤ – ٢٥٨٦١٩٧
فاكس: ٢٨٢٧٠٠٢

Notes

[←1]

حقيقة.

[←2]

فرويلاين: آنسة بالألمانية.

[←3]

لو حدث هذا اليوم لكان تحليل (الإيدز) ضروريًا لحالة مريبة كهذه.

[←4]

يعني قصة (سقوط منزل آشر) وهي أشهر قصص الدفن الأحياء. وهي من قصص (إدجار آلان بو) الكابوسية الخالدة.

[←5]

شكرًا جزيلًا (بالألمانية).